أجنحتها رضاً لطالب العلم . الحديث أخرجه أبو داود . وبما جاء فى أحاديث من أن الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكة . ولا يباهى إلاّ بالأفضل والله أعلم .

وقال بعض العلماء : ولا طريق إلى القطع بأنّ الأنبياء أفضل من الملائكة ، ولا القطع بأنّ الملائكة خيرٌ منهم ، لأنّ طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله أو إجماع الأمة . وليس ها هنا شئٌ من ذلك » .

وهذا الموقف الّذى وقفه الملائكة الأبرار من أسماء المسمّيات ، وموقف آدم عليه السّلام منها وقد علّمه الله تعالى إيّاها ، فيه إشادةٌ بالعلم وبالعلماء ، والمعروف أنّ الإسلام دين العلم ، فليس ثمّة دينٌ حثّ على العلم والتّعلّم كالإسلام ، والمعروف أنّ أوّل ما نزل على المصطفى ﷺ من القرآن الكريم فيه إشادةٌ بالعلم ، وأنّ أوّل قسمٍ فى القرآن الكريم كان بالقلم وذلك فى أوّل سورة القلم . قال تعالى : ﴿ ن ، والقلم وما يسطرون ﴾ وأنّ لفظ العلم ومشتقّاته جاء فى القرآن الكريم فيما يزيد على الثّمانمائة مرّة . وما أكثر إشادة القرآن الكريم والسنّة النّبويّة المطهّرة بالعلم والعلماء . ويمثّل آدم عليه السّلام العالم . وتمثّل الملائكة الكرام العابد . ويبدو جلياً فضل العالم على العابد وفضل العلم على العبادة . يقول القرطبىّ[1] : « فى هذه الآية دليلٌ على فضل العلم وأهله . وفى الحديث : وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، أى تخضع وتتواضع . وإنّما تفعل ذلك لأهل العلم خاصّةً من بين سائر عمّال الله لأنّ الله تعالى ألزمها ذلك فى آدم عليه السّلام فتأدّبت بذلك الأدب . فكلّما ظهر لها علمٌ فى بشر خضعت له وتواضعت وتذلّلت إعظاماً للعلم وأهله رضىً منهم بالطّلب له والشّغل به . هذا فى الطّلاّب منهم فكيف بالأحبار فيهم والرّبّانيّين منهم ! جعلنا الله منهم وفيهم إنّه ذو فضلٍ عظيم » .

ولمّا استقرّ فى نفوس الملائكة فضل الله تعالى على آدم بتعليمه ما لم يعلّمهم الله تعالى إيّاه ، واستعداد آدم لأن يتعلّم ، وكلّ ذلك ممّا لم يعلمه الملائكة من ذى قبل بل كان خارجاً عن دائرة قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ﴾ وتبيّنوا فى

---

(١) تفسير القرطبى ص ٢٤٦ .

جواب آدم عليه السّلام بعض مرامى قول الذّات العليّة : ﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ كان فى الآية الكريمة التّعميق لعلم الذّات العليّة المطلق الّذى حَفَلَ به السّياق . قال تعالى : ﴿ قال ألم أقل لكم إنّى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ . « وألم أقل تقرير لأنّ الهمزة إذا دخلت على النّفى كان الكلام فى كثير من المواضع تقريراً ، نحو قوله تعالى : ألست بربّكم . ألم نشرح لك صدرك . ألم نربّك فينا وليدا . ولذلك جاز العطف على جملة إثباتيّة نحو : ووضعنا . ولبثت »[1] .

وحينما نقارن بين القول الأوّل : ﴿ إنّى أعلم ما لا تعلمون ﴾ وبين القول هنا : ﴿ ألم أقل لكمْ إنّى أعلم غيب السّماوات والأرض ﴾ نستطيع أن نفهم من القول « لكم » الّذى لا يستغنى عنه السّياق « تنبيههم بالخطاب وهزّهم لسماع المقول نحو قوله : ﴿ ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معى صبرا ﴾ نبّهه فى الثّانية بالخطاب »[2] .

وانطلاقاً من الدّليل على العلم المطلق للذّات العليّة الّذى حذقه الملائكة عن طريق تعليم الله تعالى آدم عليه السّلام الحديث العهد بالخلق بالقياس للملائكة ، وذلك من فضل الله تعالى على آدم ، كان السّؤال التّقريرىّ المفيد علم الله تعالى غيب السّماوات والأرض وعلمه ما تبدى الملائكة وما كانت تكتم . إنّ الله سبحانه لا يخفى عليه شىءٌ فى الأرض ولا فى السّماء ويعلم السّرّ فى السّماوات والأرض ويعلم ما يبدى الملائكة وكلّ مخلوق ، وما يكتم الملائكة وكلّ مخلوق .

قال على وابن مسعود وابن عبّاس رضوان الله عليهم أجمعين : ما تبدون الضمير للملائكة وما كنتم تكتمون يعنى إبليس . فيكون من خطاب الجمع ويراد به الواحد نحو : إنّ الّذين ينادونك[3] من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . وإنّما ناداه منهم عيينة وقيل الأقرع[4] .

وقال أبو العالية والرّبيع بن أنس والحسن وقتادة هو قولهم : لم يخلق ربّنا خلقاً

---

(١) البحر المحيط ١/١٥٠ (٢) البحر المحيط ١/١٥٠

(٣) البحر المحيط ١/١٥٠ وانظر تفسير ابن كثير ١/٧٤ وتفسير الطبرى ١/١٧٦.

(٤) تفسير القرطبى ص ٢٤٨

إلاّ كنّا أعلم منه وأكرم عليه منه[١] .

وقيل هو عامٌّ فيما أبدوه وما كتموه من كلّ أمورهم . وهذا هو الظّاهر[٢] وتدبّر هذه اللّطائف الّتى فطن لها أبو حيّان[٣] : « وأبرز الفعل فى قوله : وأعلم ليكون متعلّقه جملةً مقصودةً بالعامل فلا يكون معمولها مندرجاً تحت الجملة الأولى ، وهو يدلّ على الاهتمام بالإخبار إذ جُعِل مفرداً بعاملٍ غير العامل الأوّل . وعطف قوله : وما كنتم تكتمون ، هو من باب التّرقّى فى الأخبار لأنّ علم الله تعالى واحد لا تفاوت فيه بالنّسبة إلى شيءٍ من معلوماته جهراً كان أو سرّاً . ووَصْل ما بكنتم يدلّ على أنّ الكتم وقع فيما مضى . وليس المعنى أنّهم كتموا عن الله لأنّ الملائكة أعرف بالله وأعلم فلا يكتمون الله شيئا ، وإنّما المعنى أنه هجس فى أنفسهم شيءٌ لم يظهره بعضهم لبعض ولا أطلعه عليه » .

الآيــة رقــم (٣٤)

قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ .

وإذ قلنا : أى واذكر[٤] .

وفى قوله قلنا التفات . وهو من أنواع البديع إذ كان ما قبل هذه الآية قد أخبر عن الله بصورة الغائب . ثمّ انتقل إلى ضمير المتكلّم وأتى بنا الّتى تدلّ على التّعظيم وعلوّ القدر . وتنزيله منزلة الجمع لتعدّد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة . وحكمة هذا الالتفات وكونه بنون المعظّم نفيه أنّه صدر منه الأمر للملائكة بالسّجود ووجب عليهم الامتثال فناسب أن يكون الأمر فى غايةٍ من التّعظيم . لأنّه متى كان كذلك كان أدعى لامتثال المأمور فعل ما أمر به من غير بطء ولا تأوّل لشغل خاطره بورود ما صدر من المعظّم[٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٧٤ وتفسير الطبرى ١/١٧٦ والبحر المحيط ١/١٥٠

(٢) البحر المحيط ١/١٥٠ (٣) البحر المحيط ١/١٥٠

(٤) تفسير القرطبىّ ص ٢٤٨ (٥) البحر المحيط ١/١٥٢

اسجدوا : السّجود معناه فى كلام العرب التّذلّل والخضوع[١] وفى كيفيّة السّجود لآدم بعد اتّفاق الجمهور على أنّه لم يكن السّجود عبادة بل كان السّجود تكرمةً وتحيّة له وهو قول علىّ وابن مسعود وابن عبّاس[٢] قال الجمهور : كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض كالسّجود المعتاد فى الصّلاة لأنّه الظّاهر من السّجود فى العرف والشّرع . وعلى هذا قيل كان ذلك السّجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله وطاعةً لله تعالى[٣] واختلف أيضاً هل كان السّجود خاصّاً بآدم عليه السّلام فلا يجوز السّجود لغيره من جميع العالم إلا لله تعالى أو كان جائزاً بعده إلى زمان يعقوب عليه السلام لقوله تعالى : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سُجّدا﴾ ، فكان آخر ما أبيح من السّجود للمخلوقين . والّذى عليه الأكثر أنّه كان مباحاً إلى عصر رسول الله ﷺ[٤] قال معاذ : قدمت الشّام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم فأنت يا رسول الله أحقّ أن يسجد لك فقال : لا . لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقّه عليها[٥] .

إلاّ إبليس : نصب على الاستثناء المتّصل لأنّه كان من الملائكة على قول الجمهور ابن عبّاس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيّب وقتادة وغيرهم . وهو اختيار أبى الحسن ورجّحه الطّبرىّ وهو ظاهر الآية[٦] عن ابن عبّاس قال : كان إبليس من الملائكة فلمّا عصى الله وغضب عليه فلعنه فصار شيطاناً[٧] فعلى هذا يكون ملكاً ثمّ أبلس وغضب عليه ولعن فصار شيطاناً[٨] ويقول ابن كثير[٩] : « فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله أى آيسه من الخير كلّه وجعله شيطاناً رجيماً عقوبةً لمعصيته » ويقول أبو حيان[١٠] :

---

(١) تفسير القرطبىّ ص ٢٤٨
(٢) انظر البحر المحيط ١/١٥٢ وتفسير القرطبىّ ص ٢٥٠
(٣) تفسير القرطبىّ ص ٢٥٠ وانظر البحر المحيط ١/١٥٢ وتفسير ابن كثير ١/٧٧
(٤) تفسير القرطبىّ ص ٢٥٠ (٥) تفسير ابن كثير ١/٧٧
(٦) تفسير القرطبى ص ٢٥١ وانظر الطّبرى ١/١٨٠ والبحر المحيط ١/١٥٣
(٧) تفسير القرطبىّ ص ٢٥١ وتفسير ابن كثير ١/٧٧
(٨) البحر المحيط ١/١٥٣ (٩) تفسير ابن كثير ١/٧٥
(١٠) البحر المحيط ١/١٥٣

« والظّاهر أنّه استثناء متّصل لتوجّه الأمر على الملائكة . فلو لم يكن منهم لما توجّه الأمر عليه فلم يقع عليه ذمٌّ لتركه فعل ما لم يؤمر به . وأمّا جاعل الملائكة رسلاً ولا يعصون الله ما أمرهم فهو عامٌّ مخصوص ، إذ عصمتهم ليست لذاتهم إنّما هى بجعل الله لهم ذلك . وأمّا إبليس فسلبه الله تعالى الصّفات الملكيّة وألبسه ثياب الصّفات الشّيطانيّة » .

وإبليس وزنه إفعيل مشتقٌّ من الإبلاس وهو اليأس من رحمة الله تعالى . ولم ينصرف لأنّه معرفة ، ولا نظير له فى الأسماء فشبّه بالأعجميّة . قاله أبو عبيد وغيره . وقيل : هو أعجمىّ لا اشتقاق له فلم ينصرف للعجمة والتّعريف قاله الزّجّاج وغيره[١] .

أبى معناه امتنع من فعل ما أُمر به . ومنه الحديث الصّحيح عن أبى هريرة عن النّبىّ ﷺ : إذا قرأ ابن آدم السّجدة فسجد اعتزل الشّيطان يبكى يقول : يا ويله — وفى رواية يا ويلتى — أمر ابن آدم بالسّجود فسجد فله الجنّة . وأمِرْتُ بالسُّجود فأبيت فلى النّار أخرجه مسلم[٢] ومفعول أبى محذوف لأنّه يتعدّى بنفسه إلى مفعولٍ واحد . والتّقدير أبى السّجود[٣] .

الاستكبار : التّكبّر . وهو ممّا جاء فيه استفعل بمعنى تفعّل[٤] والاستكبار الاستعظام فكأنه كره السّجود فى حقّه واستعظمه فى حقّ آدم . فكان ترك السّجود لآدم تسفيهاً لأمر الله وحكمته . وعن هذا الكبر عبّر عليه السّلام بقوله : لا يدخل الجنّة من فى قلبه مثقال حبّةِ خردلٍ من كبر .... فكلّ من سَفَّه شيئاً من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله عليه السّلام كان حكمه حكمه . وهذا ما لا خلاف فيه . وروى ابن القاسم عن مالك أنّه قال : بلغنى أنّ أوّل معصيةٍ كانت الحسد والكبر حسد إبليس آدم . وشحّ آدم فى أكله من شجرة . وقال قتادة : حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال : أنا نارىّ وهذا طينىّ . وكان بدء الذّنوب الكبر ، ثمّ الحرص ، حتّى أكل آدم من الشّجرة ، ثمّ الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه[٥] وقيل : إذا كانت خطيئة الرّجل فى كبرٍ فلا ترجه . وإن كانت خطيئته فى معصيةٍ

---

(١) تفسير القرطبى ص ٢٥٢
(٢) تفسير القرطبى ص ٢٥٢
(٣) انظر البحر المحيط ١/١٥٤
(٤) البحر المحيط ١/١٥١ و ١٥٣
(٥) تفسير القرطبى ص ٢٥٢

فارجه . وكانت خطيئة آدم عليه السّلام معصية . وخطيئة إبليس كبرا[١] وقدّم الإباء على الاستكبار ، وإن كان الاستكبار هو الأوّل لأنّه من أفعال القلوب وهو التّعاظم وينشأ عنه الإباء من السّجود ، اعتباراً بما ظهر عنه أوّلا وهو الامتناع من السّجود ولأنّ المأمور به هو السّجود[٢] .

وقد قسم العلماء الكفّار إلى كافرٍ بقلبه ولسانه كالدّهريّة والمنكرين رسالة النّبيّ ﷺ . وكافرٍ بقلبه مؤمنٍ بلسانه وهم المنافقون . ومؤمنٍ بقلبه كافرٍ بلسانه كفرعون ومن ذكر معه[٣] ويقول الطّبريّ[٤] : « فنسبه الله جلّ ثناؤه إلى الكافرين فجعله من عدادهم فى الدّين والملّة وإن خالفهم فى الجنس والنّسبة كما جعل أهل النّفاق بعضهم من بعض لاجتماعهم على النّفاق وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم فقال : المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض . يعنى بذلك أنّ بعضهم من بعضٍ فى النّفاق والضّلال ، فكذلك قوله فى إبليس : كان من الكافرين . كان منهم فى الكفر بالله ومخالفته أمره وإن كان مخالفاً جنسُه أجناسهم ونسبُه نسبهم . ومعنى قوله : وكان من الكافرين أنه كان حين أبى عن السّجود من الكافرين حينئذ » واختلف هل كفر إبليس جهلاً أو عناداً على قولين بين أهل السُّنّة . ولا خلاف أنّه كان عالماً بالله قبل كفره . فمن قال إنّه كفر جهلاً قال : إنّه سلب العلم عند كفره . ومن قال عناداً قال : كفر ومعه علمه[٥] .

على غرار ابتداء الآية الكريمة الّتى تحدّثت عن جعل الله تعالى آدم بعد خلقه له خليفة فى الأرض بظرف الزّمان للماضى « وإذ » تبدأ هذه الآية الكريمة المعطوفة على الآية الكريمة السّابقة « وإذ » والمقصود فى الموضعين : واذكر يا محمّد . ويلاحظ أنّ كلاً من الآيتين الكريمتين تبدأ بها مجموعةٌ من الأحداث المترابطة . وهذه الآية الكريمة تتحدّث عن سجود الملائكة لآدم عليه السّلام سجود تحيّة وتكريم امتثالاً لأمر الله تعالى لها بذلك وعصيان إبليس اللّعين .

---

(١) تفسير القرطبىّ ص ٢٥٢
(٢) البحر المحيط ١/١٥٣
(٣) البحر المحيط ١/١٥٤
(٤) تفسير الطبرىّ ١/١٨١
(٥) تفسير القرطبىّ ص ٢٥٤

وإذا كان السّياق يستعمل من ذى قبل جملة « قال » فى حقّ الذّات العليّة ، فإنّه يستعمل فى هذه الآية الكريمة اسم ضمير جماعة المتكلّمين الدّالّ على العظمة والكبرياء « وإذ قلنا » ومع أنّ الالتفات فى ذاته شاذٌّ للانتباه شدّا ، فإنّه يتمّ التّحوّل معه إلى ضمير المتكلّم الأشدّ قوةً من ضمير الغائب ، وهذا الضّمير يتمشّى مع طبيعة الأمر الّذى تصدره الذّات العليّة للملائكة . وإنّ الأمر المطلوب عمله من الملائكة ليس بالشّىء البسيط فى حقّهم ولا بالهيّن وهم الّذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم الّذين جاء على لسانهم القول خطاباً لربّ العزّة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ﴾ إنّ الملائكة فى طاعةٍ لله مستمرّة وعبادة دائمة . ومعروف أنّ أدلّ هيئات العابد على التّذلّل والخضوع هو السّجود . وإنّ ربّ العزّة ليأمر الملائكة بأن تسجد سجود تحيّة وتكريم لآدم عليه السّلام طاعةً لله تعالى وامتثالاً لأوامره جلّ وعلا . وها هى ذى الملائكة تبادر إلى السّجود لآدم عليه السّلام سجود تحيّة وتعظيم امتثالاً لأمر الله تعالى ، ولايخرج عن إجماع الملائكة على السّجود ولا يشذّ عنه إلاّ إبليس اللّعين رغم كونه ، وفق رأى جمهور العلماء ، أحد الملائكة . إنّ إبليس اللّعين يعصى الله تعالى ولا يأتمر بأمره فيأبى السّجود لآدم عليه السّلام ويمتنع عن طاعة الله تعالى ، ويستكبر عن السجود لآدم عليه السّلام لأنّ الله سبحانه وتعالى خلقه من نار بينما خلق آدم عليه السّلام من طين . ومنطق إبليس وكلّ إبليس بأنّ الطّين لا يسمو سموّ النّار ، وينسى اللّعين أو يتناسى أنّ الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق آدم عليه السّلام من طين وسوّاه فى أحسن تقويم نفخ فيه من روحه ، ومن ثمّ يكون آدم عليه السّلام بسبب هذه النّفخة متّجهاً بروحه وآماله وأشواقه إلى ذلك العالم العلوىّ الذى تدفعه إليه وترفعه النّفخة فيه من روح الله خلافاً للطّين الّذى يريد أن يشده إلى الأرض ويجذبه إلى الوراء إلى الحضيض .

لقد كان إبليس ، بسبب عصيانه أمر الله تعالى وإبائه السّجود لآدم عليه السّلام وامتلاء نفسه بين جنبيه كبراً وغطرسة وحسداً وبغضاً لآدم عليه السّلام ، من الكافرين ، الجاحدين نعم الله تعالى ، المخالفين أوامره ، الممتلئين غطرسةً وكبرا ،

المستحقّين لعنة الله تعالى ، المطرودين من رحمته جلّ وعلا ، المستحقين عذابه الأليم .

وإبليس اللّعين الّذى خالف أمر الله تعالى وعصاه فاستحقّ اللّعنة ، رمزٌ لكلّ الأبالسة ، وفى مقدّمتهم أبالسة الإنس الّذين يشركون مع الله تعالى غيره فى العبادة ، ولا يعبدون الله تعالى وحده لا شريك له ، ولا يسجدون له ، ولا يأتمرون بما أمرهم الله تعالى به ولا ينتهون عمّا نهاهم الله تعالى عنه . إنّ اللّعنة الّتى كانت من نصيب إبليس وقد أبى واستكبر ، هى من نصيب الآخرين الّذين لا يعبدون الله تعالى وحده لا شريك له ولا يحقّقون الهدف الّذى خلقهم الله تعالى من أجله وقد قال عزّ من قائل[١] : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون ﴾ .

الآيــة رقــم (٣٥)

قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشّجرة فتكونا من الظّالمين ﴾ .

اسكن : أقم ومصدره السُّكنى كالرُّجعى . والمعنى راجعٌ إلى السّكون وهو عدم الحركة . وكأنّ السّاكن فى المكان للبثه واستقراره فيه غير متحرّكٍ بالنّسبة إلى غيره من الأماكن[٢] ولا خلاف أنّ الله تعالى أخرج إبليس عند كفره وأبعده عن الجنّة ، وبعد إخراجه قال لآدم اسكن أى لازم الإقامة واتّخذها مسكناً وهو محلّ السّكون .... والسّكن كلّ ما سكن إليه . والسّكّين معروف ، سمّى به لأنّه يسكن حركة المذبوح . ومنه المسكين لقلّة تصرّفه وحركته . وسكّان السّفينة عربىّ لأنّه يسكنها عن الاضطراب[٣] وسكّان السّفينة دفّتها .

أنت وزوجك ، أنت تاكيدٌ للمضمر الّذى فى الفعل . ومثله فاذهب أنت وربّك . ولا يجوز اسكن وزوجك ولا اذهب وربّك إلاّ فى ضرورة الشّعر[٤] وزوج آدم عليه

---

(١) سورة الذّاريات ٥٦
(٢) البحر المحيط ١/١٥٥
(٣) تفسير القرطبى ص ٢٥٥
(٤) تفسير القرطبى ص ٢٥٦

السّلام هى حوّاء عليها السلام وهو أوّل من سمّاها بذلك[١] ولغة القرآن زوجٌ بغير هاء .... وقد جاء فى صحيح مسلم زوجة[٢] قال أبو جعفر : ويقال لامرأة الرّجل زَوْجُه وزوجَتُه . والزّوْجة بالهاء أكثر فى كلام العرب منها بغير الهاء . والزّوج بغير الهاء يقال إنّه لغة لأزد شنوءة . فأمّا الزّوج الّذى لا اختلاف فيه بين العرب فهو زوج المرأة[٣] وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ المرأة خُلِقَتْ مِنْ ضِلعَ — فى رواية — وإنّ أعوج شيءٍ فى الضِّلَع أعلاه . لن تستقيم لك على طريقةٍ واحدة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج . وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها[٤] وكان خلق حّواء من ضلع آدم الأيسر[٥] وأكثر أئمّة التّفسير أنّها خلقت بعد دخول آدم الجنّة استوحش بعد لعن إبليس وإخراجه من الجنّة فنام فاستيقظ فوجدها عند رأسه قد خلقها الله من ضلعه الأيسر فسألها من أنت قالت امرأة . قال : و لم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلىّ[٦] وجاء فى تفسير الطّبرىّ[٧] عن ابن عبّاس وعن ابن مسعود وعن ناسٍ من أصحاب النّبىّ ﷺ : « فأخرج إبليس من الجنّة حين لعن وأسكن آدم الجنّة فكان يمشى فيها وحشًا ليس له زوج يسكن إليها . فنام نومةً فاستيقظ وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت فقالت امرأة . قال : و لم خلقت ؟ قالت تسكن إلىّ . قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال حوّاء » .

منها : الضّمير عائدٌ على الجنّة . والمعنى على حذف مضاف أى من مطاعمها من ثمارها وغيرها[٨] .

رغدا : قراءة الجمهور رغداً بفتح الغين ..... والرّغد العيش الدّارّ الهنىّ الّذى لا عناء فيه[٩] والرّغد فى اللّغة الكثير الّذى لا يعنّيك[١٠] ورغداً نعت لمصدر محذوف أى أكلاً

---

(١) تفسير القرطبى ص ٢٥٧
(٢) تفسير القرطبى ص ٢٥٦
(٣) تفسير الطبرىّ ١/١٨٢
(٤) تفسير القرطبىّ ص ٢٥٧
(٥) الجلالين
(٦) البحر المحيط ١/١٥٦
(٧) ١/١٨٢
(٨) البحر المحيط ١/١٥٧
(٩) تفسير القرطبىّ ص ٢٥٩
(١٠) تفسير القرطبىّ ص ٢٦٥ والبحر المحيط ١/١٥٨ وهذا رأى الزّجّاج .

رغدا . قال ابن كيسان : ويجوز أن يكون مصدراً فى موضع الحال[١] « يقال رغِد عيش القوم ورغُد بكسر الغين وضمّها إذا كانوا فى رزقٍ واسعٍ كثير . وأرغد القوم أخصبوا وصاروا فى رغدٍ من العيش . وقالوا عيشةٌ رغْد بالسّكون أيضاً »[٢] .

حيث : ظرف مكان مبهم لازم الظّرفية[٣] أى أىّ مكانٍ من الجنّة[٤] ولا تقربا هذه الشّجرة : أى لا تقرباها بأكل[٥] وقال ابن عطيّة : قال بعض الحذّاق : إن الله تعالى لمّا أراد النّهى عن أكل الشّجرة نهى عنه بلفظٍ يقتضى الأكل وما يدعو إليه وهو القرب . قال ابن عطيّة . وهذا مثالٌ بيّنٌ فى سدّ الذّرائع . وقال بعض أرباب المعانى : قوله : ولا تقربا إشعارٌ بالوقوع فى الخطيئة والخروج من الجنّة وأنّ سُكناه فيها لا يدوم لأنّ المخلّد لا يحظر عليه شىءٌ ولا يؤمر ولا ينهى . والدّليل على قوله تعالى : ﴿ إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفة ﴾ ، فدلّ على خروجه منها[٦] .

هذه : إشارة للحاضر القريب من المخاطب ... ويحتمل أن تكون إلى شجرة واحدةٍ من الجنس المعلوم وهذا أظهر[٧] .

الشّجر ما كان على ساق . والنّجم ما نجم وانبسط على الأرض ليس له ساق[٨] ومنه قول الله جلّ ثناؤه : ﴿ والنّجم والشّجر يسجدان ﴾ يعنى بالنّجم ما نجم من الأرض من نبت وبالشّجر ما استقلّ على ساق[٩] ولا نعلم على وجه الدّقّة نوع تلك الشّجرة « وذلك إنْ علمه عالم لا ينفع العالم به علمُه . وإن جهله جاهل لم يضرّه جهلُه به »[١٠] وإنّما المقصود إعلامنا أنّ فعل ما نهينا عنه سببٌ للعقوبة[١١] .

والظّلم أصله وضع الشّىء فى غير موضعه ثمّ يطلق على الشّرك وعلى الجحد وعلى

---

(١) تفسير القرطبىّ ص ٢٦٤
(٢) البحر المحيط ١٥٨/١
(٣) البحر المحيط ١٥٥/١
(٤) الكشّاف ٢١١/١
(٥) تفسير القرطبى ص ٢٥٩
(٦) تفسير القرطبى ٢٥٩
(٧) البحر المحيط ١٥٨/١
(٨) البحر المحيط ١٥٥/١
(٩) تفسير الطبرىّ ١٨٣/١
(١٠) تفسير الطّبرىّ ١٨٥/١
(١١) البحر المحيط ١٥٨/١

النّقص . والمظلومة الأرض الّتى لم تمطر ومعناه راجع إلى النّقص[١] قال نابغة بنى ذبيان :

إلاّ أوارىّ لأياً مّا أبيّنها والنّؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

فجعل الأرض مظلومة لأنّ الّذى حفر فيها النّؤى حفر فى غير موضع الحفر فجعلها مظلومة لوضع الحفرة منها فى غير موضعها[٢] .

بيّن ربّ العزّة للملائكة أنّه جاعلٌ فى الأرض خليفة وكان جوابهم المنبئ عن إفساد ذرّيّة هذا الخليفة فى الأرض وتجاوزهم إلى سفك الدّماء بينما هم العابدون المخلصون العبادة لله تعالى وبيّن ربّ العزّة أنه يعلم ما لا يعلمون ، وكان الدّليل على ذلك حينما علّم آدم الأسماء كلّها وعجزت الملائكة عن ذكر أسماء المسمّيات ونجح آدم عليه السّلام وكان تعميق الإشارة إلى علم الله تعالى المطلق فى القول : ﴿ قال ألم أقل لكم إنّى أعلم غيب السّماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ . وتكريماً لآدم عليه السّلام العالم أمر جلّ وعلا الملائكة بالسّجود له سجود تحيّة وتكريم وامتثل الملائكة وعصى إبليس اللّعين فطُرد من الجنّة وبقى آدم فى الجنّة وامتنّ الله تعالى عليه بأن خلق منه زوجته حوّاء كى يسكن إليها ويهنأ بها ، ويأمره الله تعالى أن يسكن هو وزوجه الجنّة فى السّماوات العُلا وهنا يبدأ المنعطف تجاه تحقيق قول الحقّ جلّ وعلا للملائكة : ﴿ إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفة ﴾ ونودّ أن نسير مع جزئيّات المعنى فى الآية الكريمة خُطوةً خطوة .

وإنّ أوّل ما يلفت الانتباه هو أنّ آدم عليه السّلام الّذى خلقه بارئه فى أحسن تقويم وصوّره فأحسن صورته ورزقه من الطيبّات وأسكنه جنّته ، ما كان لنعيمه أن يكون تامّاً بدون شقّه الآخر المكمل له ، زوجه وسكنه . وقد أكرم الله تعالى آدم عليه السّلام بأن جعل منه زوجه الّتى خلقها جلّ وعلا من ضلع آدم عليه السّلام . ومع أنّ استمرار حياة هذا الجنس وبقاءه مستقبلاً يعنى حتماً وجود الزّوجين الذّكر والأنثى ، كى تتحقّق الخلافة وتعمر الأرض ، فإنّ وجود الزّوجة مع زوجها فى القرآن الكريم فى كلّ مناسبات

---

(١) البحر المحيط ١/١٥٥

(٢) تفسير الطّبرى ١/١٨٦ والاوارىّ فى البيت جمع الآرىّ ويخفّف وهو محبس الدّابّة ومعلفها .

النّعيم ، سواءٌ بشأن آدم عليه السّلام أو ذرّيّته ، يدلّ كلّ ذلك على مدى حاجة كلٍّ من الزّوجين للآخر وقد قال تعالى[١] : ﴿ هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ ﴾ ونستذكر فى هذه المناسبة مثل قولهِ تعالى[٢] : ﴿ إنّ أصحاب الجنّة اليوم فى شُغُل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلالٍ على الأرائك متّكئون . لهم فيها فاكهةٌ ولهم مّا يدّعون . سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم ﴾ وقوله تعالى[٣] : ﴿ الأخلاّء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتّقين . يا عبادِ لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تُحْبرون . يطاف عليهم بصِحافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنّة الّتى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون ﴾ وقوله تعالى[٤] : ﴿ والّذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانيةً ويدرءون بالحسنة السّيّئة أولئك لهم عُقْبى الدّار . جنّات عدنٍ يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب . سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار ﴾ .

وإنّ ثمة درساً عظيماً ينبغى أن يعيه المسلمون كى يكون المجتمع المسلم كما أراد الله تعالى له طاهراً نظيفاً عفيفاً . أمّا هذا الدّرس العظيم الّذى ينبغى على المسلمين أن يبادروا إلى تطبيقه فهو الّذى أمر به جلّ وعلا فى قوله عز من قائل[٥] : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصّالحين من عبادكم وإمائكم . إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسعٌ عليم . وليستعفف الّذين لا يجدون نكاحاً حتّى يغنيهم الله من فضله .... ﴾ .

لقد أسكن الله تعالى آدم عليه السّلام الجنّة وكمل نعيمه بزوجه وسكنه حوّاء عليها السّلام ، وأمرهما ربّهما جلّ وعلا أن يأكلا من كلّ مطاعم الجنّة وثمارها ، وفى أىّ مكانٍ فى الجنّة كانا ، ويقترن بالأكل الشّرب ، وفى ذكر الطّعام من الجنّة الّتى لا تحيا دون الأنهار المتدفّقة فيها ذكرٌ ضمنىّ للشّراب ، وأمرهما ربّهما جلّ وعلا كذلك بألا يأكلا من شجرةٍ

---

(١) سورة البقرة ١٨٧
(٢) سورة يس ٥٥ — ٥٨
(٣) سورة الزّخرف ٦٧ — ٧٣
(٤) سورة الرّعد ٢٢ — ٢٤
(٥) سورة النّور ٣٢ ، ٣٣

بعينها بل ألاّ يقتربا منها ولا يَدْنُوَا إليها . وبهذا النّهى تبدو طلائع معنى القول للملائكة . ﴿ إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفة ﴾ إنّ ربَّ العزّة قد جعل نفس الإنسانِ طُلَعة ، تواقةً إلى الخلود ، إن لم يكن خلود الرّسم فخلود الاسم ، وإنّ ربّ العزّة قد جعل ابن آدم كأبيه قابلاً لأن ينسى . وتنفيذاً لإرادة الله تعالى ، تضافرت أسبابٌ داخليّة فى ذات آدم وحوّاء عليهما السّلام ، وأسباب خارجيّ تتمثّل فى وساوس الشيطان الرّجيم وإغرائه وإغوائه آدم وحوّاء بالأكل من الشّجرة الّتى نهاهما جلّ وعلا عن الأكل منها زاعماً اللّعين أنّهما سيكونان ملكين أو من الخالدين ، ومقسماً على زعمه وكذبه وادّعائه أنّه لهما لمن النّاصحين . إنّ ما نهاهما الله تعالى عن فعله كيلا يكونا من الظّالمين الّذين ظلموا أنفسهم وظلموا الآخرين الّذين يلوذون بهم ، قد فعلاه بإغراءٍ من الشيطان الرّجيم وإغواء فصارا من الظّالمين وذلك ما يُبيّنه السّياق بعد ذلك .

الآيــة رقــم (٣٦)

قال تعالى : ﴿ فأزلّهما الشّيطان عنها فأخرجهما ممّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ولكم فى الأرض مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين ﴾ .

أزلّ من الزّلل وهو عثور القدم . يقال : زلّت قدمه وزلّت به النّعل . والزّلل فى الرّأى والنّظر مجاز[١] والهمزة فى أزلّ للتّعدية . والمعنى جعلهما زلاّ بإغوائه وحملهما على أن زلاّ وحصلا فى الزّلّة . هذا أصل همزة التّعدية[٢] والزّلّة هى الخطيئة أى استزلّهما وأوقعهما فيها[٣] قال ابن عبّاس فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فأزلّهما الشّيطان ﴾ قال : أغواهما[٤] مِنْ زلّ عن المكان إذا تنحّى . قال امرؤ القيس :

يزلُّ الغلام الخِفُّ عن صهواته ويُلْوى بأثواب العنيف المثقّل

---

(١) البحر المحيط ١/١٥٩
(٢) البحر المحيط ١/١٦٠
(٣) تفسير القرطبىّ ص ٢٦٥
(٤) تفسير الطّبرىّ ١/١٨٦

وقال أيضاً :

كُمَيْتٌ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حال متنه كما زلّت الصّفواء بالمتنـزَّل[١]

ومعنى يزلّ الغلام الخفّ عن صهواته أى يزلقه . ومعنى يزل اللّبد عن حال متنه يزلقه عن وسط ظهره[٢] .

عنها : يصحّ أن يكون الضمير فى قوله عنها عائداً إلى الجنّة فيكون معنى الكلام كما قرأ عاصم فأزالهما أى فنحّاهما . ويصحّ أن يكون عائداً على أقرب المذكورين وهو الشّجرة فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة : فأزلّهما أى من قبل الزّلل فعلى هذا يكون تقدير الكلام : فأزلّهما الشّيطان عنها أى بسببها كما قال تعالى : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ ، أى يصرف بسببه من هو مأفوك[٣] ولا خلاف بين أهل التّأويل وغيرهم أنّ إبليس كان متولّى إغواء آدم واختلف فى الكيفيّة . فقال ابن مسعود وابن عبّاس وجمهور العلماء : أغواهما مشافهة . ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وقاسمهما إنّى لكما لمن النّاصحين ﴾ . والمقاسمة ظاهرها المشافهة[٤] .

فأخرجهما : تأكيد وبيانٌ للزّوال[٥] قال أبو جعفر : وأمّا تأويل قوله : فأخرجهما فإنّه يعنى فأخرج الشّيطان آدم وزوجته ممّا كانا فيه ، يعنى ممّا كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش فى الجنّة وسعة نعيمها الّذى كانا فيه[٦] عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :« خير يوم طلعت فيه الشّمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنّة ، وفيه أخرج منها » رواه مسلم والنّسائى[٧] .

الهبوط : النّزول من فوق إلى أسفل[٨] والمراد النّزول إلى الأرض[٩] والهبوط مصدر هبط ومضارعه يهبِط ويهبُط بكسر الباء وضمّها[١٠] .

---

(١) تفسير القرطبى ص ٢٢٦
(٢) البحر المحيط ١/١٦١
(٣) تفسير ابن كثير ١/٨٠
(٤) تفسير القرطبّى ص ٢٦٦ وانظر البحر المحيط ١/١٦١ ومعنى قاسمهما أقسم لهما بالله .
(٥) تفسير القرطبى ص ٢٦٦
(٦) تفسير الطّبرىّ ١/١٩٠
(٧) تفسير ابن كثير ١/٨٠
(٨) تفسير القرطبّى ص ٢٧٢
(٩) الكشّاف ١/٢١١
(١٠) البحر المحيط ١/١٥٩

وقلنا اهبطوا : المراد هما وذريّتهما لأنّهما لمّا كانا أصل الإنس ومتشّعبهم جعلا كأنّهما الإنس كلّهم . والدّليل عليه قوله : قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدوّ . ويدلّ على ذلك قوله : ﴿ فمن تبع هداى فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون ﴾[1] ولمّا كان أمراً بالهبوط من الجنة إلى الأرض وكان فى ذلك انحطاط رتبة المأمور لم يؤنسه بالنّداء ولا أقبل عليه بتنويهه بذكر اسمه والإقبال عليه بالنّداء بخلاف قوله : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن ﴾[2] .

بعض أصله مصدر بَعِضَ يَبْعَضُ بَعْضاً أى قطع ، ويطلق على الجزء . ويقابله كلّ . وهما معرفتان لصدور الحال منهما فى فصيح الكلام . قالوا مررت ببعضٍ قائماً وبكلٍّ جالسًا . وينوى فيها الإضافة فلذلك لا تدخل عليهما الألف واللاّم . ولذلك خطّأوا أبا القاسم الزّجّاجيّ فى قوله : ويبدل البعض من الكلّ[2] بعضكم لبعضٍ عدوّ : ما عليه النّاس من التّعادى والتّباغى وتضليل بعضهم لبعض[3] .

العدوّ خلاف الصّديق ، وهو من عدا إذا ظلم .... وقيل هو مأخوذ من المجاوزة من قولك : لا يعدوك هذا الأمر أى لا يتجاوزك . وعداه إذا جاوزه . فسمّى عدوّاً لمجاوزة الحدّ فى مكروه صاحبه . ومنه العَدْو بالقدم لمجاوزة الشّئ ، والمعنيان متقاربان فإنّ من ظلم فقد تجاوز .... فإن قيل : كيف قال عدوّ و لم يقل أعداء ففيه جوابان . أحدهما أن بعضاً وكلاً يخبر عنهما بالواحد على اللّفظ وعلى المعنى وذلك فى القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وكلّهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ . على اللّفظ . وقال تعالى : ﴿ وكلٌّ أتَوْه داخرين ﴾ . على المعنى . والجواب الآخر أنّ عدوّاً يفرد فى موضع الجمع . قال الله عزّ وجلّ : وهم لكم عدّو ، بئس للظّالمين بدلا . بمعنى أعداء . وقال تعالى : يحسبون كلّ صيحةٍ عليهم هم العدوّ . وقال ابن فارس : العدوّ اسمٌ جامعٌ للواحد والاثنين والثّلاثة والتّأنيث وقد يجمع[4] .

---

(١) الكشّاف ١/٢١١ (٢) البحر المحيط ١/١٦٢

(٣) الكشّاف ١/٢١١ وانظر لسان العرب « بعض » .

(٤) تفسير القرطبى ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

مستقّر أى موضع استقرار[١] أو استقرار[٢] والمستقرّ مستفعلٌ من القرار وهو اللّبث والإقامة . ويكون مصدراً وزماناً ومكاناً لأنّه من فعلٍ زائدٍ على ثلاثة أحرفٍ فيكون لما ذكر بصورة المفعول . ولذلك سمّيت الأرض القرارة . قال الشّاعر :

جادت عليه كلّ عينٍ ثَرّةٍ فتركن كلَّ قرارةٍ كالدّرهم

واستفعل فيه . بمعنى فعل ، استقرّ وقرّ بمعنى[٣] .

المتاع : ما يستمتع به من أكلٍ ولُبْس وحياة وحديث وأنس وغير ذلك . ومنه سُمّيت متعة النّكاح لأنّه تمتُّعٌ به[٤] والمتاع البُلغة [والبُلغة بضمّ الباء ما يكفى من العيش ولا يفضل] وهو مأخوذٌ من متَعَ النّهار إذا ارتفع ، فينطلق على ما يَتحصّل للإنسان من عرض الدّنيا . ويطلق على الزّاد وعلى الانتفاع بالنّساء ومنه : فما استمتعتم به منهنّ . ونكاح المتعة وعلى الكِسوة ومتّعوهنّ وعلى التّعمير ، يمتّعكم متاعاً حسنا . قالوا : ومنه أمتع الله بك أى أطال الله الإيناس بك ، وكلّه راجع لمعنى البُلْغة[٥] .

إلى حين : يريد إلى القيامة وقيل إلى الموت[٦] قال الأزهرىّ: الحين اسمٌ كالوقت يصلح لجميع الأزمان كلّها طالت أو قصرت[٧] ويمكن أن يفسّر قوله : مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين ، بقوله : ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾[٨] .

أسكن الله سبحانه وتعالى آدم جنّته ، وجعل منه زوجته حوّاء ، وأُمرا أن يأكلا من ثمرات الجنّة أكلاً رغداً واسعاً هنيئاً ، فكمل بذلك النّعيم التّامّ . وبما أنّ ربّ العزّة قد أراد لآدم عليه السّلام أن يكون خليفةً فى الأرض ، فقد تهيّأت بإرادة الله تعالى أسبابٌ خارجيّة وداخليّة أدّت إلى خروج آدم عليه السّلام من الجنّة والهبوط إلى الأرض . أمّا الأسباب الخارجيّة فتتلخّصُ فى وساوس الشّيطان الرّجيم وإغراءاته وكذبه وحلفه

---

(١) تفسير القرطبىّ ص ٢٧٣ والكشّاف ١/٢١١ وتفسير الطّبرى ١/١٩٢

(٢) الكشّاف ١/٢١١

(٣) البحر المحيط ١/١٦٠ والشّاعر عنترة ، والبيت من المعلّقة .

(٤) تفسير القرطبى ص ٢٧٤

(٥) البحر المحيط ١/١٦٠

(٦) الكشّاف ١/٢١١

(٧) تفسير القرطبىّ ص ٢٧٤

(٨) البحر المحيط ١/١٦٥

الكاذب من أجل أن يعصى آدم ربّه بالأكل من الشّجرة الّتى نهاه الله تعالى عن الأكل منها هو وزوجه حوّاء . وهذه الآية الكريمة تبيّن ما آل إليه حال آدم وحوّاء عليهما السّلام بعد عصيان الله تعالى وطاعة الشّيطان الرّجيم والانقياد لوساوسه الّتى تشكّل مجموعة الأسباب الخارجيّة . أمّا الأسباب الدّاخلية فتتلخّص فى النّفس البشريّة الطُّلعَة الأمّارة بالسّوء إلاّ النّفس الّتى رحمها الله تعالى فتحوّلت نفساً لوّامة على التّقصير فى جنب الله تعالى فنفساً مطمئنّة . لقد استطاع الشّيطان الرّجيم أن ينسى آدم وحوّاء عليهما السّلام كونه عدوّاً لهما ويريد إخراجهما من الجنّة وأن يغريهما بالأكل من الشّجرة مستغلاً النّفس الطُّلعَة المستعدّة لأن تنساق أحياناً وراء هواها كأن يكون آدم وحوّاء ، حسب زعم اللّعين وإقسامه على ذلك الزّعم ، ملكين أو يكونا من الخالدين . وقد جاء فى سورة الأعراف[1] قوله تعالى : ﴿ فوسوس لهما الشّيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما مِنْ سوءاتهما وقال ما نهاكما ربّكما عن هذه الشّجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إنّى لكما لمن النّاصحين . فدلاّهما بغرور .... ﴾ لقد استطاع الشّيطان الرّجيم أن يغرى آدم وحوّاء بارتكاب زلّة الأكل من الشّجرة الّتى نهاهما الله تعالى عن الأكل منها ، واقتراف خطيئة عصيان أمر الله تعالى وطاعة الشّيطان الرّجيم ، وبذلك زَلِقا عن الجنّة بعد رسوخ وزلاً بعد ثبات ، فأصبح حالهما بسبب الانزلاق والزّلل شبيهاً بحال الممتطى رَكوبه المستقرّ عليه المتمكّن منه ، ينزلق عنه ويتنحّى ويزلّ دون أن يستطيع بحالٍ من الأحوال تدارك ما فات أو إصلاح ما فسد . إنّ هذا هو حال آدم وحوّاء عليهما السّلام وقد دلاّهما الشّيطان الرّجيم بغرور ، وأخرجهما بعلم الله تعالى وإرادته من النّعيم المقيم السّرمدىّ الّذى كانا فيه ، والمعروف أنّ فى الجنّة ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وأمر الله سبحانه وتعالى آدم وحوّاء أن يهبطا من السّماء إلى الأرض ، من الجنّة حيث النّعيم المقيم إلى الأرض حيث العمل والتّعب ، الكدح والنّصب . إنّ كلّ ما حصل بعلم الله تعالى وإرادته ، فالله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل من آدم خليفةً فى الأرض ،

---

(١) الآيات ٢٠ ــ ٢٢

وقد هيّأه جلّ وعلا كما هيّأ ذرّيّته من بعده لهذه المهمّة ، وبعد قبوله جل وعلا توبة آدم عليه السّلام أهبطه إلى الأرض كى يَحْذَرَ ذرّيّة آدم عليه السّلام الشّيطان الرّجيم .

وقد كان الخطاب لآدم عليه السّلام وحوّاء بالهبوط إلى الأرض شاملاً لذرّيّتهما ، مبيّناً أنّ بعض هذه الذّرّيّة لبعضٍ عدوّ ، وهذا هو الواقع المشاهد فى الأرض ، حينما لا يتّبع العباد هدى الله تعالى ، مقرّراً أنّ لآدم عليه السّلام وذرّيّته فى الأرض موضع استقرار ولهم فيها متاع بكلّ ما أحلّ الله تعالى لهم من متاع ، وزينةٍ لله أخرجها جلّ وعلا لعباده ، وطيّباتٍ من الرّزق إلى أن يأتى الموت فى حقّ الأفراد وتقوم السّاعة فى حقّ الخلائق أجمعين وعلى رأسهم الآدميّون .

ويلاحظ أنّ الخطاب هنا كالخطاب من ذى قبل بنون العظمة « وقلنا » .

وإنّ أهمّ درسٍ يستفاد من هبوط آدم وحوّاء عليهما السّلام وذرّيّتهما تبعٌ لهما ، هو أنّ طاعة الشّيطان مصيرها البوار والخسران والنّيران ، وأنّ طاعة الرّحمٰن مصيرها الحياة الطيّبة فى الأولى وفى الآخرة ، والجزاء الموفور فى الجنان بأحسن ما كانوا يعملون فى دار الفناء والزّوال .

الآيــة رقــم (٣٧)

قال تعالى : ﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلماتٍ فتاب عليه إنّه هو التّوّاب الرّحيم ﴾ .

تلقّى : بمعنى استقبل . ومنه تلقّى فلانٌ فلاناً استقبله . ويتلقّى الوحى أى يستقبله ويأخذه ويتلقّفه . وخرجنا نتلقّى الحجيج نستقبلهم . وقال الشّمّاخ :

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاهـا عرابـة بـاليمين[1]

والكلمات جمع كلمة . والكلمة تقع على القليل والكثير[2] فالكلمة اللّفظة الموضوعة لمعنى . والكلمة الكلام . والكلمة القصيدة ، سمّيت بذلك لاشتمالها على

---

(١) البحر المحيط ١/١٦٠ (٢) تفسير القرطبىّ ص ٢٧٦

الكلمة والكلام . ويجمع بحذف التّاء فيكون اسم جنس نحو نبقة ونبق[١] .

وبشأن الكلمات الّتى تلقّاها آدم عليه السّلام من ربّه جلّ وعلا قال ابن عبّاس والحسن وابن جبير ومجاهد وابن كعب وعطاء الخراسانى والضّحّاك وعبيد بن عمير وابن زيد هى قوله تعالى من سورة الأعراف[٢] : ﴿ قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾[٣] .

فتاب عليه أى قبل توبته أو وفّقه للتّوبة[٤] وأصل التّوبة الرّجوع . يقال تاب وثاب وآب وأناب رجع[٥] وتاب يتوب توباً وتوبةً ومتاباً . فإذا عدّى بعلى ضمّن معنى العطف[٦] .

التّوّاب من أسمائه تعالى ، جاء على صيغة المبالغة فعّال ، والتّوّاب الكثير القبول لتوبة العبد أو الكثير الإعانة عليها[٧] فالتّوبة من الله على العبد هى العطف والتّفضّل عليه . ومن العبد هى الرّجوع إلى طاعته تعالى لطلب ثواب أو خشية عقاب أو رفع درجات[٨] .

والرّحيم من أسمائه تعالى ، جاء على صيغة المبالغة فعيل[٩] وأعقب الصّفة الأولى بصفة الرّحمة لأنّ قبول التّوبة سببه رحمة الله لعبده . وتقدّم التّوّاب لمناسبة فتاب عليه ولحسن ختم الفاصلة بقوله الرّحيم[١٠] .

استطاع الشّيطان الرّجيم أن يوقع آدم فى الزّلّة والمعصية بأن يأكل من الشّجرة وبذلك أزلّ الشيطانُ الرّجيمُ ونحّى آدم عن الجنّة وأخرجه منها هو وزوجه وأمر الله سبحانه وتعالى آدم وحوّاء أن يهبطا إلى الأرض وبيّن لهما أنّ العداوة ستكون شديدة بينهما وذرّيّتهما وبين اللّعين . وإنّ الله سبحانه التّوّاب الرّحيم ليرشد آدم عليه السّلام ، رحمةً منه جلّ وعلا

---

(١) البحر المحيط ١/١٦٠ (٢) الآية ٢٣

(٣) البحر المحيط ١/١٦٥ وتفسير الطّبرىّ ١/١٩٣ ، ١٩٤ وتفسير القرطبى ص ٢٧٦ والجلالين والكشّاف ١/٢١١ وتفسير ابن كثير ١/٨١

(٤) تفسير القرطبىّ ص ٢٧٦ (٥) تفسير القرطبى ص ٢٧٦

(٦) البحر المحيط ١/١٦٠ (٧) انظر البحر المحيط ١/١٦٧

(٨) البحر المحيط ١/١٦٧ (٩) انظر البحر المحيط ١/١٦٧

(١٠) البحر المحيط ١/١٦٧

وفضلاً ، إلى باب التّوبة المفتوح على مصراعيه إلى يوم الدّين وإلى أن تطلع الشّمس من مغربها ويلقّنه هو وزوجه كلمات فى التّوبة يتفضّل ربّ العزّة التّوّاب الرّحيم بقبولها . وهذه الكلمات هى الّتى تضمّنتها آية سورة الأعراف الثالثة والعشرون . قال تعالى : ﴿ قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ إنّ ربّ العزّة يلقّن آدم وحوّاء كلمات فى التّوبة وقد ندما على ما بدر منهما أشدّ النّدم ، وإنّ ربّ العزّة الّذى يقبل التّوبة عن عباده ويعفو عن السّيّئات ويعلم ما يفعل العباد ، ليقبل توبة آدم وحوّاء عليهما السّلام الصّادقة . وهنا نتبيّن ارتكاب المعصية بطريق الخطأ وما يترتّب عليه فى العادة من توبةٍ إلى الله تعالى من قريبٍ صادقةٍ نصوح ، وهو موقف آدم عليه السّلام وزوجته حوّاء ، كما نتبيّن ارتكاب المعصية بطريق العمد بدافع الحسد والكبر وما يترتّب على ذلك من إصرارٍ على الذّنب ، وهو موقف الشّيطان عليه لعنة الله .

ووراء ذلك نحن نتبيّن مجموعةً من الأمور المتعلّقة بالنّظم . ومن هذه الأمور أنّنا نصادف اسم آدم وقد عاد ذكره صريحاً بعد أن غاب فى الآية الكريمة السّابقة المتعلّقة بالمعصية وبالخروج من الجنّة والهبوط إلى الأرض . إن اسم آدم يعود مع الجوّ المبهج ، كما يصادفنا لفظ الرّب المتصّل به الضمير العائد إلى آدم عليه السّلام . والمعروف أنّ لفظ الرّب إنما يجئ فى القرآن الكريم فى مواقف الخصوص ، وفى مواقف الابتهاج ، وحينما يراد لفت الانتباه إلى وجوب القيام بواجب الشّكر لله تعالى المربّى عباده بنعمه وآلائه .

ومن هذه الأمور أنّه بالإضافة إلى صيغتى المبالغة « التّوّاب الرّحيم » وما تتضمّناه من موفور التّوبة وفائض الرّحمة ، نحن بصدد صيغتى التّوكيد « إنّ » و « هو » وكأنّ كُلاًّ من صيغتى المبالغة يقابلها توكيد . وما أكثر الآيات الكريمة الّتى نصّت على هاتين الصّفتين وعمّقت أبعاد معانى هذين الاسمين من أسمائه جلّ وعلا الحسنى .

والآية الكريمة وراء كلّ ذلك ترشد العباد إلى الصّراط المستقيم والطّريق القويم حينما تزلّ بالواحد منهم النّعل ويفرّط فى جنب الله تعالى . إنّ الطريق الصّحيح للعمل هو الّذى يتجلّى فى التّوبة الفوريّة النّصوح لله تعالى . وشروط هذه التّوبة ثلاثة : النّدم على ما فات والإقلاع عنه والعزم على ألاّ يعود . وبشأن عباد الله تعالى يضاف شرطٌ رابع هو رد

المظالم إلى أصحابها إن كان قادراً على ردّها[١] وكأنّ الآية الكريمة ذات ارتباط وثيق بالآية الكريمة السّابقة فى قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون ﴾ إنّ التّخلّص من الكفر يتمثّل فى التّوبة إلى الله تعالى توبةً نصوحاً كما تاب أبونا آدم عليه السّلام وأمّنا حوّاء عليها السّلام ، وإنّ الأمل كبيرٌ فى الله تعالى أن يتفضّل بقبول توبة التّائبين كما تفضّل بقبول توبة آدم وحوّاء[٢] قال عزّ من قائل[٣] : ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحا ﴾ .

الآيــة رقــم (٣٨)

قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينّكم منّى هدًى فمن تَبع هداى فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

قلنا اهبطوا : كرّر الأمر بالهبوط لمّا تعلّق بكلّ أمرٍ منهما حكم غير حكم الآخر ، فتعلّق بالأمر الأوّل العداوة ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ﴾ وتعلّق بالأمر الثّانى إتيان الهدى ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتيّنكم منىّ هدًى .... ﴾[٤] .

منها : ظاهر الضّمير أنّه يعود إلى الجنّة ، فاقتضى ذلك أن يكون الهبوط الثّانى منها[٥] .

جميعاً : حال من الضّمير فى اهبطوا[٦] .

فإمّا يأتينّكم : « إن شرطيّة وما زائدة بعدها للتّوكيد . والنّون فى يأتينّكم نون توكيد ..... قال أبو العبّاس المهدوىّ : إنْ هى الّتى للشّرط زيدت عليها ما للتّأكيد ليصحّ دخول النّون للتّوكيد فى الفعل ، ولو اسقطت يعنى ما لم تدخل النّون . فما تؤكّد أوّل الكلام

---

(١) انظر هنا مثلا البحر المحيط ١٦٦/١ ورياض الصّالحين ص ١٠

(٢) انظر هنا تفسير الطّبرىّ ١٩٥/١ (٣) سورة التّحريم ٨

(٤) انظر تفسير القرطبىّ ص ٢٧٩ والبحر المحيط ١٦٧/١ وتفسير ابن كثير ٨٢/١

(٥) البحر المحيط ١٦٧/١ (٦) البحر المحيط ١٦٧/١

والنّون تؤكّد آخره »[١] .

مِنّى هدى : « هذا شبيهٌ بالالتفات لأنّه انتقل من الضّمير الموضوع للجمع أو المعظّم نفسه إلى الضّمير الخاصّ بالمتكلّم المفرد .... وحكمة هذا الانتقال هنا أنّ الهدى لا يكون إلاّ منه وحده تعالى فناسب الضّمير الخاصّ كونه لا هادى إلاّ هو تعالى . فأعطى الخاصّ الّذى لا يشاركه فيه غيره الضّمير الخاصّ الّذى لا يحتمل غيره تعالى . وفى قوله مِنّى إشارةٌ إلى أنّ الخيرَ كله منه ، ولذلك جاء : ﴿ قد جاءكم برهان من ربّكم ﴾ . و : ﴿ قد جاءتكم موعظةٌ من ربّكم وشفاء ﴾ . فأتى بكلمة مِنْ الدّالّة على الابتداء فى الأشياء لينبّه على أنّ ذلك صادرٌ منه ومبتدأ من جهته تعالى »[٢] .

فمن تبع هداى فلا خوفٌ عليهم : جواب إنْ الّتى للشّرط الفاء مع الشّرط الثّانى فى قوله : فمن تبع . ومن فى موضع رفع بالابتداء . وتبع فى موضع جزمٍ بالشّرط . فلا خوف ، جوابه . قال سيبويه : الشّرط الثّانى وجوابه هما جواب الأوّل وقال الكسائى : فلا خوفٌ عليهم جواب الشّرطين جميعاً[٣] وقد علّق أبو حيّان على مثل هذا الرّأى بالقول[٤] : « وتظافرت نصوص المفسّرين والمعربين على أن من فى قوله : فمن تبع : شرطيّة ، وأنّ جواب هذا الشّرط هو قوله : فلا خوف ، فتكون الآية فيها شرطان .... ولا يتعيّن عندى أن تكون من شرطيّة ، بل يجوز أن تكون موصولة ، بل يترجّح ذلك لقوله فى قسيمه : ﴿ والّذين كفروا وكذّبوا ﴾ ، فأتى به موصولاً . ويكون قوله : فلا خوف جملة فى موضع الخبر » .

﴿ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . الخوف هو الذّعر ولا يكون إلاّ فى المستقبل ..... والحُزْن والْحَزَن ضدّ السّرور ولا يكون إلاّ على ماض[٥] وأصل الحزن غلظ الهمّ مأخوذ من الحزن وهو ما غلظ من الأرض[٦] والخوف استشعار غمٍّ لفقد مطلوب . والحزن استشعار غمٍّ لفوات محبوب[٧] والمعنى فى الآية فلا خوفٌ عليهم فيما بين أيديهم

---

(١) البحر المحيط ١٦٧/١ وانظر تفسير الطّبرى ١٩٥/١

(٢) البحرالمحيط ١٦٨/١

(٣) انظر تفسير القرطبىّ ص ٢٨٠

(٤) البحر المحيط ١٦٨/١

(٥) تفسير القرطبىّ ٢٨٠

(٦) البحر المحيط ١٦٠/١

(٧) البحر المحيط ١٧٠/١

من الآخرة ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدّنيا[١] وقدّم عدم الخوف على عدم الحزن لأنّ انتفاء الخوف فيما هو آتٍ آكد من انتفاء الحزن على ما فات . ولذلك أبرزت جملته مصدرة بالنّكرة الّتى هى أوغل فى باب النّفى ، وأبرزت الثّانية مصدّرةً بالمعرفة فى قوله : ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ . وفى قوله : ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ ، إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن وأنّ غيرهم يحزن . ولو لم يشر إلى هذا المعنى لكان : ولا يحزنون كافياً ، ولذلك أورد نفى الحزن عنهم وإذهابه فى قوله : ﴿ إنّ الّذين سبقت لهم ﴾ إلى قوله : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة ﴾[٢] .

اقترن بأمر الهبوط الأوّل تقرير عداوة بنى آدم بعضهم لبعض ، واقترن بأمر الهبوط الثّانى تقرير هدى الله تعالى للنّاس . إنّ رحمة الله سبحانه وتعالى سبقت غضبه وعفوه جلّ وعلا سبق انتقامه ، ولمّا كان الأمر الأوّل بالهبوط قد اقترن به تبيين عداوة بنى آدم بعضهم لبعض إن لم تدركهم رحمة أرحم الرّاحمين و لم يسر عباد الله تعالى وفق تعاليم السّماء ، لذا اقترن بالأمر الثّانى تبيين هدى الله سبحانه وتعالى الّذى يتمثّل فى إرسال الرّسل وإنزال الكتب عليهم . فعلى سبيل المثال جاء فى أول سورة البقرة وصف القرآن الكريم بأنّه هدًى للمتّقين ، وهذا الكتاب العزيز أنزله الله تعالى على محمّد بن عبد الله ﷺ رحمة الله تعالى المهداة ونعمته المسداة . إنّ واجب عباد الله تعالى أن يتّبعوا هدى الله تعالى المتمّثل فى القرآن الكريم وفى المصطفى ﷺ وقد قال عزّ من قائل[٣] : ﴿ ورحمتى وسعت كلّ شيءٍ فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون . الّذين يتّبعون الرّسول النّبىّ الأمّىّ الّذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التّوراة والإنجيل ..... ﴾ إنّ من تبع هدى الله تعالى فلا خوفٌ عليه يوم القيامة فيما يستقبل من أمر الآخرة ، ولا يحزن على ما فاته من أمر الدّنيا . قال تعالى[٤] : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذى كنتم توعدون ﴾ وتبيّن الآيات الكريمات من

---

(١) تفسير القرطبىّ ص ٢٨٠ وانظر تفسير ابن كثير ٨٢/١

(٢) البحر المحيط ١٧٠/١

(٣) سورة الأعراف ١٥٦ ، ١٥٧

(٤) سورة الأنبياء ١٠٣

سورة طه أنّ من اتّبع هدى الله تعالى لا يضلّ فى الدّنيا ولا يشقى فى الآخرة ، كما تبيّن المصير الأليم لمن أعرض عن ذكره جلّ وعلا . قال عزّ من قائل[1] : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدوّ ، فإمّا يأتينّكم مِنى هدًى فمن اتّبع هداى فلا يضلّ ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربّ لِمَ حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنْسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربّه ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى ﴾ .

ونصادف فى الآية الكريمة جملة « يأتى » الّتى لا تستعمل فى القرآن الكريم إلاّ دليلاً على البُعْد . ولعلّ المراد بُعْدُ محلّ الهدى وسموّه أو بعد زمانه . وهو إنّما يأتى بإرادة الله تعالى حينما تنحرف البشريّة عن سواء السَّبيل بسبب بعدها عن زمان رسل الله تعالى إليها وأنبيائه ، فتجدّ الحاجة إلى هدى الله تعالى المتمثّل فى كتبه وفى رسله الّذين ينزل الله تعالى عليهم تلك الكتب . وقد عرفنا أنّ القول « منّى » يعنى أنّ هدى الله تعالى هو وحده الهدى ء وأن واجب البشريّة مجرّد اتّباع هدى الله تعالى ، ففى ذلك كلّ الخير لها فى الدّنيا والآخرة . إنّ المتّقين الّذين يهتدون بهدى الله تعالى وفى مقدّمتها القرآن الكريم والرّسول العظيم الّذى أنزل عليه الكتاب العزيز هم المهتدون حقّا المتّقون صدقاً . وقد نصّت أوائل آى سورة البقرة على أهمّ نعوت المتّقين الّذين يهتدون فى المقام الأوّل بهدى الكتاب العزيز الّذى لا ريب فيه . إنّ مصير هؤلاء المتّقين الجنّة الّتى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر . وما هو مصير الكافرين المكذّبين ؟ ذاك تبيّنه الآية الكريمة التّالية .

---

(١) سورة طه ١٢٣ — ١٢٧

الآيــة رقــم (٣٩)

قال تعالى : ﴿ والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النّار هــم فيها خالدون ﴾ .

إذا كان المتّقون قد اتّبعوا هدى الله تعالى فآمنوا بالكتاب العزيز وصدّقوا الرّسول الكريم فإنّ الّذين كفروا عملوا بعكس ذلك . إنّهم لم يتّبعوا هدى الله فكذّبوا بآى الذّكر الحكيم وجحدوا نبوّة الرّسول العظيم واتّبعوا الشّيطان الرّجيم وأهواءهم فسقطوا فى مهاوى الرّدى . إنّ هؤلاء هم أصحاب النّار وبهذا يعرف أنّ الّذين اتّبعوا هدى الله تعالى هم أصحاب الجنّة . « والصّحبة معناها الاقتران بالشيء . والغالب فى العرف أن ينطلق على الملازمة وإن كان أصلها فى اللّغة أن تنطلق على مطلق الاقتران . والمراد بها هنا الملازمة الدّائمة ولذلك أكّده بقوله : ﴿ هم فيها خالدون ﴾ »[1] .

وحينما يكون أصحاب النّار خالدين يفهم أنّ أصحاب الجنّة خالدون فيها كذلك .

وحينما لا يخاف أصحاب الجنّة ولا هم يحزنون يوم القيامة يكون الخوف والحزن من نصيب أصحاب النّار . « فكأنه حُذف من الجملة الأولى شيء أُثْبت نظيره فى الجملة الثانية . ومن الثّانية شيء أثبت نظيره فى الجملة الأولى »[2] .

---

(١) البحر المحيط ١/١٧١

(٢) البحر المحيط ١/١٧٠

[٦]

بنـــو إســـرائيل

الآيات ٤٠ ـــ ١٢٣

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ
أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي
ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ
وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ
وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ
عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ
مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ
وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ
أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ

خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾
وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ

ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ

أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾
قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ

بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾
۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾
وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

تحدّثت السّورة الكريمة ابتداءً عن المؤمنين وصفاتهم وعن الكافرين والمنافقين وصفاتهم ، ودعت النّاس جميعاً إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وضربت لهم الأدلّة المادّيّة والمعنويّة وتحدّثهم بالقرآن الكريم ، وتحدّثت عن خَلْق الله تعالى لهم وللسّماوات والأرض ، وعن خلق آدم عليه السّلام وتكريم الله تعالى له واصطفائه بالعلم ، وعن هبوطه إلى الأرض بسبب عصيان الله تعالى بالأكل من الشّجرة وتوبة الله تعالى عليه وعلى زوجته حوّاء ، وتقرير إتيان الهدى للنّاس من الله تعالى على لسان رسله وأنبيائه وكتبه ، وتقرير ثواب الطّائعين وعقاب العاصين . ثمّ يتحوّل الحديث إلى بنى إسرائيل . والمعروف أنّ الحديث عن النّاس يشمل بنى إسرائيل ، ولكن لمّا كانوا فى مجموعهم كافرين بالقرآن الكريم مكذّبين للرّسول العظيم مناوئين للمؤمنين وكانوا أهل كتاب يعملون بعكس تعاليم كتاب الله تعالى إليهم ، فقد جاء الحديث عنهم على جهة الخصوص لاختصاصهم بكتابٍ سماوىّ رغم اشتراكهم مع الكافرين والمنافقين فى الكثير من الصّفات ومن أهمّها الكفر بالكتاب العزيز الّذى لا ريب فيه وبالرّسول الكريم الّذى أنزل الله تعالى عليه هذا الكتاب . وما الّذى يقال عن بنى إسرائيل الّذين تتحدّث عنهم السّورة الكريمة بأكثر من أىّ فئةٍ أخرى أو موضوعٍ آخر بأكثر من كون بنى إسرائيل كثرت عللهم فكثر أطباؤهم أعنى الأنبياء فيهم فإلى أولى الآيات الكريمات .

الآيــة رقــم (٤٠)

قال تعالى : ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى الّتى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفِ بعهدكم وإيّاى فارهبون ﴾ .

إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام[١] اسمٌ أعجمىّ ممنوع الصّرف للعلميّة والعجمة . وقد ذكروا أنّه مركّب من إسرا وهو العبد وإيل اسم من أسماء الله تعالى ، فكأنّه عبد الله وذلك باللّسان العبرانى . فيكون مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل قاله ابن عبّاس . وقيل : معنى إسرا ، صفوة . وإيل الله تعالى . فمعناه صفوة الله ، روى ذلك عن ابن عبّاس وغيره[٢] « وأضافهم إلى لفظ إسرائيل وهو يعقوب و لم يقل يا بنى يعقوب لما فى لفظ إسرائيل من أنّ معناه عبد الله أو صفوة الله وذلك على أحسن تفاسيره ، فهزّهم بالإضافة إليه فكأنّه قيل : يا بنى عبد الله أو يا بنى صفوة الله فكان فى ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم فى الخير كما تقول : يا ابن الرّجل الصّالح أطع الله فتضيفه إلى ما يحرّكه لطاعة الله لأن الإنسان يحبّ أن يقتفى أثر آبائه وإن لم يكن بذلك محموداً فكيف إذا كان محمودا »[٣] .

اذكروا نعمتى : الذِّكر اسمٌ مشترك . فالذّكر بالقلب ضدّ النّسيان . والذّكر باللّسان ضدّ الإنصات .وذكرت الشّىء بلسانى وقلبى ذكراً .واجْعَلْهُ منك على ذكر (بضمّ الذّال) أى لا تنسه .قال الكسائى : ما كان بالضّمير فهو مضموم الذّال . وما كان باللّسان فهو مكسور الذّال .وقال غيره : هما لغتان يقال : ذِكر وذُكر ومعناهما واحد[٤] ويحتمل قوله : اذكروا ، الذّكر باللّسان والذّكر بالقلب . فعلى الأوّل يكون

---

(١) تفسير القرطبى ص ٢٨١

(٢) البحر المحيط ١٧١/١ وانظر تفسير القرطبى ص ٢٨١ والكشّاف و ٢١٢/١ وتفسير ابن كثير ٨٢/١

(٣) البحر المحيط ١٧٣/١

(٤) تفسير القرطبىّ ص ٢٨٢ وانظر البحر المحيط ١٧٢/١ .

المعنى . أَمِرُّوا النِّعم على ألسنتكم ولا تغفلوا عنها فإنّ إمرارها على اللّسان ومدارستها سببٌ فى ألاّ تُنسى . وعلى الثّانى يكون المعنى : تنبّهوا للنّعم ولا تغفلوا عن شكرها[١] .

والنّعمة : اسمٌ للشّىء المنعم به[٢] .

والنّعمة هنا اسم جنس فهى مفردةٌ بمعنى الجمع .قال الله تعالى : وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها أى نِعَمه[٣] قال أرباب المعانى : ربط سبحانه وتعالى بنى إسرائيل بذكر النّعمة وأسقطه عن أمّة محمّد ﷺ ودعاهم إلى ذكره فقال : اذكرونى أَذْكُرْكم ، لينكون نظر الأمم من النّعمة إلى المُنْعم ونظر أمّة محمّد ﷺ من المنعم إلى النّعمة[٤] و « قال بعض العارفين : عبيد النّعم كثيرون وعبيد المنعِم قليلون . فالله تعالى ذكَّرَ بنى إسرائيل نعمه عليهم . ولمّا آل الأمر إلى أمّة محمّد ﷺ ذكّر المنعِم فقال : اذكرونى أذكركم فدلّ ذلك على فضل أمّة محمّد ﷺ على سائر الأمم .

وفى قوله نعمتى نوع التفات لأنّه خروجٌ من ضمير المتكلّم المعظّم نفسه فى قوله : آياتنا ، إلى ضمير المتكلّم الّذى لا يشعر بذلك . وفى إضافة النّعمة إليه إشارةٌ إلى عظم قدرها وسعة برّها وحسن موقعها[٥] .

عليكم : على آبائكم[٦] .

وأوفوا : أوفى وَوَفَى ووفّى لغىً ثلاث فى معنى واحد .. وقال الفرّاء : أهل الحجاز يقولون : أوفيت . وأهل نجد يقولون : وفيت بغير ألف . وقال الزّجّاج : وفى بالعهد وأوفى به ... وقال ابن قتيبة : يقال : وفيت بالعهد وأوفيت به . وأوفيت الكيل لا غير[٧] .

والمراد بالعهد جميع أوامره ونواهيه ووصاياه جلّ وعلا ، فيدخل فى ذلك ذكر محمّد ﷺ الّذى فى التّوراة وغيره . هذا قول الجمهور من العلماء وهو الصحيح[٨]

---

(١) البحر المحيط ١/١٧٤
(٢) البحر المحيط ١/١٧٢
(٣) تفسير القرطبىّ ٢٨٢
(٤) تفسير القرطبىّ ص ٢٨٢
(٥) البحر المحيط ١/١٧٤
(٦) الجلالين والكشّاف ١/٢١٢
(٧) البحر المحيط ١/١٧٢
(٨) تفسير القرطبى ص ٢٨٣ وانظر البحر المحيط ١/١٧٥

والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعاً . يقال : أوفيت بعهدى أى بما عاهدت عليه كقوله : ومَنْ أوفى بعهده من الله . وأوفيت بعهدك أى بما عاهدتك عليه[١] والّذى يظهر والله أعلم أنّ المعنى طلب الإيفاء بما التزموه لله تعالى وترتيب إنجاز ما وعدهم به عهداً على سبيل المقابلة أو إبرازاً لما تفضّل به تعالى فى صورة المشروط الملتزم به ، فتتوفّر الدّواعى على الإيفاء بعهد الله كما قال تعالى : ﴿ ومن أوفى بعهده من الله . إلاّ من اتّخذ عند الله عهدا ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « فإنّ له عهداً عند الله أن يدخله الجنّة »[٢] وقال الضّحّاك عن ابن عبّاس : أوف بعهدكم قال : أرض عنكم وأدخلكم الجنّة وكذا قال السّدّى والضّحّاك وأبو العالية والرّبيع بن أنس[٣] .

وإيّاى فارهبون أى خافون . والرُّهب والرَّهب والرَّهبة الخوف . ويتضمّن الأمر به معنى التّهديد . وسقطت الياء بعد النّون لأنّها رأس آية[٤] مأخوذٌ من الرّهابة وهو عظم الصّدر يؤثّر فيه الخوف[٥] والمعنى : ارهبون أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النّقمات الّتى قد عرفتم من المسخ وغيره . وهذا قول ابن عبّاس[٦] .

بعد أن بيّنت الآيتان الكريمتان السّابقتان مصير المؤمنين المتّقين الّذين يتّبعون هدى الله تعالى ، ومصير الكافرين المكذّبين ، تحوّل السّياق إلى مخاطبة بنى إسرائيل باعتبارهم فى مجموعهم من الفريق الثّانى الكافر . والآية الكريمة تخاطب اليهود باعتبارهم أبناء يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام ، مستعملةً اسم يعقوب عليه السّلام الآخر « إسرائيل » ومعناه عبد الله . وحينما يكون القوم أبناء أحد أنبياء الله تعالى ولاسمه هذا المعنى الجليل « عبد الله » وحينما يُنَبَّه الأبناء إلى فضل الأب وصلاحه ، يظنّ أنّ فى ذلك حثّاً للأبناء على اقتفاء آثار الأب الصّالح ، فكيف به وقد كان نبيّا . إنّ الآية الكريمة تأمر بنى إسرائيل بأن يذكروا بألسنتهم وبضمائرهم نعم الله تعالى عليهم الّتى لا يأتى عليها

---

(١) الكشّاف ١/٢١٢ (٢) البحر المحيط ١/١٧٥

(٣) تفسير ابن كثير ١/٨٣ وانظر تفسير الطّبرىّ ١/١٩٨ وتفسير القرطبى ٢٨٢ والجلالين .

(٤) تفسير القرطبىّ ص ٢٨٣ وانظر البحر المحيط ١/١٧٦

(٥) البحر المحيط ١/١٧٢ (٦) البحر المحيط ١/١٧٦

الحصر ، والّتى عدّدت سورة البقرة بعضاً منها ، وأن يترجموا الذّكر باللّسان وبالضّمير شكراً لله تعالى على النّعم والآلاء بما يتمشى مع الذّكر وذلك بالعمل الطيّب وامتثال الأوامر واجتناب النّواهى ففى ذلك الوفاء بعهد الله تعالى عليهم بعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له وترجمة التّعاليم السّماويّة إلى عمل ، وفى مقدّمة ذلك الإيمان بالقرآن الكريم كلام ربّ العالمين وتصديق الرّسول الكريم محمّد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين . إنّ القوم حينما يفون بعهد الله تعالى الّذى قطعوه على أنفسهم سيكون ثوابهم دخول الجنّة ، ذلك الثّواب الّذى يعبّر عنه السّياق فى مقابل وفاء القوم ما عاهدوا الله عليه ، بالوفاء بالعهد الّذى عبّرت عنه الآية الكريمة بالقول : ﴿ أوف بعهدكم ﴾ ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾[1] .

وإذا كان للجزء الأوّل من الآية الكريمة ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى الّتى أنعمت عليكم ﴾ حظّه من القول ومن العمل ، فإنّ حظّ الجزء الثانى من الآية الكريمة : ﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ موفورٌ من العمل ، فالمطلوب ترجمة قول اللّسان ومكنون الضّمير إلى عمل . وإذا كان للجزأين الأوّلين حظّهما الموفور من التّرغيب ، فإنّ للجزء الأخير ﴿ وإيّاى فارهبون ﴾ حظّه الموفور من التّرهيب . فعلى بنى إسرائيل ، والمراد بذلك ذرّيّتهم المعاصرة لنزول الوحى على المصطفى ﷺ . أن يخافوا الله سبحانه وتعالى وإن يرهبوا نقمه الّتى كان لآبائهم حظٌّ موفورٌ منها . إنّ النّعم تدوم بالشّكر لله تعالى عليها . وإنّ من أهمّ مظاهر الشّكر اتّباع هدى الله تعالى المتمثّل فى القرآن الكريم الّذى أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين . والمعروف أنّ بنى إسرائيل فى مجموعهم عملوا بعكس هذه الأوامر والتّوجيهات مخالفين لوحى الله تعالى فى القرآن الكريم وفى التّوراة الّتى تنص على نبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين والّتى تأمر بنى إسرائيل باتّباعه ﷺ .

---

(١) سورة التوبة ١١١

الآيــة رقــم (٤١)

قال تعالى : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدِّقاً لما معكم ولا تكونوا أوّل كافرٍ به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً وإيّاى فاتّقون ﴾ .

على غرار الآية الكريمة السّابقة جمعت الآية الكريمة فى خطابها لبنى إسرائيل بين التّرغيب والتّرهيب . لقد أمرت الآية الكريمة السّابقة بنى إسرائيل أن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم ومن ذلك إنزال التّوراة على موسى عليه السّلام وفيها ذكر المصطفى ﷺ ، كما أمرتهم بالوفاء بعهد الله تعالى ومن ذلك تصديق ما جاء فى التّوراة بشأن المصطفى ﷺ وذلك بالإيمان به ، كما أمرتهم أن يخافوا الله تعالى .

ولمّا كان من متعلّقات ذكر النّعمة والوفاء بالعهد وخوف الله تعالى تصديق محمّد بن عبد الله ﷺ الّذى أنزل الله تعالى عليه أشرف الكتب السّماويّة ، ولمّا كان من سمات الكافرين ، كما نصّت على ذلك آخر آيات القسم السّابق ، أنّهم يكذّبون بآيات الله تعالى ، وكانت هذه الصّفة متحقّقةً فى بنى إسرائيل ، فقد كان محور حديث هذه الآية الكريمة التى نحن بصددها موقف بنى إسرائيل من الكتاب العزيز فعلاً ، والموقف الّذى ينبغى لهم أن يقفوه خاصّةً وأنّهم أهل كتاب .

إنّ الآية الكريمة المعطوفة على سابقتها بالواو تأمر بنى إسرائيل أن يؤمنوا بما أنزل الله تعالى على المصطفى ﷺ من ذكر حكيمٍ وقرآنٍ مجيد وكتابٍ عزيزٍ مصدّقٍ لما معهم من التّوراة الّتى فيها النّصّ على نبوّة المصطفى ﷺ ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدِّقاً لما معكم ﴾ إنّ القرآن الكريم مصدِّق للتوراة الّتى تدعو إلى توحيد الله تعالى وإلى الإيمان بالرّسول النّبىّ الأمّىّ وإنّ على بنى إسرائيل ، إن كانوا مؤمنين بالتّوراة حقّاً ، الإيمان بكل ما اشتملت عليه ومن ذلك النّصّ على الرسول النّبىّ الأمّىّ ﷺ.

وتنهى الآية الكريمة بنى إسرائيل عن الكفر بما أنزل الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين بعد أن أمرتهم بالإيمان به . بل إنّها لتنهاهم عن أن يكونوا أوّل كافرٍ بهذا الكتاب العزيز ، بمعنى أنّها تنهاهم عن أن يكونوا أوّل فريق من أهل الكتاب كافر بالقرآن الكريم . وحينما

نتبيّن بعض ما خصّ به بنو إسرائيل من ملابسات تهيئهم كى يكونوا أوّل المؤمنين بما أنزل الله على خاتم الأنبياء والمرسلين ، نستطيع أن نلمح تعريض الآية الكريمة ببنى إسرائيل وتقريعها لهم . إنّ واجب القوم أن يكونوا أوّل المؤمنين بالكتابِ العزيز المصدّقين للرّسول الأمّىّ الكريم ؛ لأنّهم أهل كتابٍ سماوىّ فيه النّصّ على نبوّة خاتم المرسلين ، فهم أهل علمٍ أكيد . بل إنّهم أهل علمٍ أكيدٍ بقرب بعثة المصطفى ﷺ قبل أن يبعثه الله تعالى رحمةً للعالمين ، وإنّ فى القرآن الكريم أكثر من دليلٍ على هذا العلم التّامّ الأكيد . جاء فى سورة البقرة[١] قوله تعالى : ﴿ ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ إنّ بنى إسرائيل فى حربهم مع عرب الجزيرة العربيّة كغطفان والأوس والخزرج كانوا يستنصرون على أولئك المشركين ويقولون[٢] « اللّٰهمّ انصرنا عليهم بالنّبىّ المبعوث فى آخر الزّمان الّذى نجد نعته وصفته فى التّوراة ويقولون لأعدائهم من المشركين : قد أظلّ زمان نبىّ يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم » لقد كان بنو إسرائيل أوّل كافرٍ بالقرآن الكريم وبالرّسول العظيم وقد قال تعالى[٣] : ﴿ ولمّا جاءهم رسولٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم نبذ فريقٌ من الّذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون ﴾ وجاء فى سورة البيّنة[٤] قوله تعالى : ﴿ لم يكن الّذين كفروا مِنْ أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتّى تأتيهم البيّنة . رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطهّرةً . فيها كتبٌ قيّمة . وما تفرق الّذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءتهم البيّنة . وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة ﴾ لقد عمل بنو إسرائيل بعكس أمر الله تعالى لهم ، فلم يؤمنوا بما أنزل الله تعالى مصدّقاً لما معهم من التّوراة ، وكانوا أوّل كافرٍ من أهل الكتاب بالقرآن الكريم وبالرّسول العظيم . وتجاوزوا هذا وذاك إلى اشتراء الثّمن القليل بآيات الله تعالى .

---

(١) سورة البقرة ٨٩ .

(٢) انظر الكشّاف ١/٢٢٧ وتفسير القرطبىّ ص ٤١٩ والبحر المحيط ١/٣٠٣ .

(٣) سورة البقرة ١٠١ (٤) الآيات ١ ــ ٥

إنّ الآية الكريمة بعد أن أمرتهم بالإيمان بما أنزل الله تعالى ونهتهم عن أن يكونوا أوّل كافر به نهتهم عن أن يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً . والمراد بآيات الله تعالى هنا آيات التّوراة الّتى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السّلام . والمراد بالثّمن القليل حطام الدّنيا الزّائل الّذى حصلوا عليه فى هيئة الرّئاسة الدّنيويّة أو الدّينيّة وحرصوا عليه ، وحرّفوا تعاليم السّماء ، وبخاصّة ما يتّصل منها بنبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين ، بتضليل العامّة وأشباه العامّة ، وإشباع عواطفهم ، وإرواء غرائزهم ، وتملُّقهم . يحدث كلّ ذلك من القوم عن طريق شراء الرّؤساء الدّينيّين ومن شايعهم ، بلىّ أعناق آيات التّوراة ، حطاماً زائلاً ، وثمناً قليلا و « الثّمن القليل هو ما يحصل لهم من شهوات الدّنيا الّتى اشتغلوا بها عن اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه . ووصف الثّمن بالقليل لأنّ ما حصل عوضاً عن آيات الله كائناً ما كان لا يكون إلاّ قليلاً وإن بلغ ما بلغ ، كما قال تعالى : ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾[1] وإليك هذا الدّليلَ من القرآن الكريم على شراء بنى إسرائيل الثّمن القليل حينما يقولون لكفّار مكّة : إنّكم أهدى من الّذين آمنوا سبيلا ! قال تعالى[2] : ﴿ ألم تر إلى الّذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطّاغوت ويقولون للّذين كفروا هؤلاء أهدى من الّذين آمنوا سبيلا . أولئك الّذين لعنهم الله ومن يلعنِ الله فلن تجد له نصيرا . أم لهم نصيبٌ من المُلْك فإذاً لا يؤتون النّاس نقيرا . أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه . وكفى بجهنّم سعيرا ﴾ . وبهذا يتبيّن أن بنى إسرائيل قد عملوا بعكس أمر الله تعالى لهم : ﴿ ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ﴾ وهذا الثّمن قليلٌ حقيقةً لأنّه مهما عظم فى عين صاحبه فهو حقيرٌ لأنّه خبيث ، ولو أعجبت كثرتُه صاحبه ، ثمّ إنّه قليلٌ حقيقةً لأنّ مصيره إلى زوال ، طال الزّمن أو قصر .

لقد عمل بنو إسرائيل بعكس الأمر الأوّل من الله تعالى والنّهيين الأولّ والثّانى فى الآية الكريمة . وإنّ حظّ الأمر الثّانى هو حظّ سابقه ﴿ وإيّاى فاتّقون ﴾ إنّ القوم كانوا

---

(١) البحر المحيط ١/١٧٩ (٢) سورة النّساء ٥١ ــ ٥٥

أبعد الخلق عن تقوى الله تعالى . ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تريد من بنى إسرائيل أسمى مطلوب وهو أن يصلوا إلى مرحلة التّقوى ، وقد تبيّنّا أنّ السّورة الكريمة فى ابتدائها تنعت المؤمنين بأرفع صفاتهم وهى صفة التّقوى ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتّقين ﴾ لقد ثبت أنّ بنى إسرائيل أبعد خلق الله تعالى عن أبسط قواعد التّقوى فكيف بأسماها . وهكذا يتبيّن أنّ بنى إسرائيل يعملون دائما وأبداً بعكس أوامر الله تعالى لهم ونواهيه وبهذا هم لم يذكروا نعم الله تعالى بل كفروها ، ولم يفوا بعهد الله تعالى كى يفى جلّ وعلا لهم بإدخالهم الجنّة ولم يخشوا الله تعالى ولم يرهبوه . وبهذا يتبيّن كذلك أنّ معانى الآية الكريمة الثّانية مترتّبةٌ على معانى الآية الكريمة الأولى ومبنيّةٌ عليها .

« عن طلق بن حبيب قال : التّقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نورٍ من الله . وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله »[١] .

الآيــة رقــم (٤٢)

قال تعالى : ﴿ ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون ﴾ .

اللّبس : الخلط . لَبَسْتُ عليه الأمر ألْبِسُهُ إذا مزجتَ بيّنه بمشكله وحقّه بباطله . قال الله تعالى : ﴿ ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسون ﴾ . وفى الأمر لُبْسة أى ليس بواضح . ومِنْ هذا المعنى قول عليّ رضى الله عنه للحارث بن حوط : يا حارِ إنّه ملبوسٌ عليك . إنّ الحقّ لا يُعْرَف بالرّجال اعرف الحقّ تعرف أهله[٢] .

والباطل فى كلام العرب خلاف الحقّ ومعناه الزّائل . قال لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطل[٣]

وظاهر هذا التّركيب أن الباء فى قوله بالباطل للإلصاق . كقولك : خلطت الماء

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٨٤

(٢) تفسير القرطبى ص ٢٨٩ وانظر تفسير الطّبرىّ ١/٢٠١

(٣) تفسير القرطبىّ ص ٢٩٠

باللّبن . فكأنّهم نُهُوا عن أن يخلطوا الحقّ بالباطل فلا يتميّز الحقّ من الباطل[١] عن ابن عبّاس وغيره : لا تخلطوا ما عندكم من الحقّ فى الكتاب بالباطل وهو التّغيير والتّبديل[٢] ولا تخلطوا الصّدق بالكذب[٣] .

الكتم والكتمان : الإخفاء ، وضدّه الإظهار . ومنه الكَتَم ورقٌ يصبغ به الشّيب[٤] .

عن ابن عبّاس : وتكتموا الحقّ يقول : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وما جاء به وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب الّتى بأيديكم[٥] وفى مقدّمتها التّوراة[٦] .

والحقّ الّذى كتموه هو أمر رسول الله ﷺ . قاله ابن عبّاس ومجاهد وقتادة وأبو العالية والسّدّى ومقاتل[٧] .

وأنتم تعلمون : جملة فى موضع الحال أى أنّ محمّداً عليه السّلام حقّ . فكفرهم به كان كفر عناد ، ولم يشهد تعالى لهم بعلم ، وإنّما نهاهم عن كتمان ما علموا . ودلّ على تغليظ الذّنب على من واقعه على علم وأنّه أعصى من الجاهل[٨] .

أشارت الآية الكريمة السّابقة إلى كون بنى إسرائيل قد اشتروا بآيات الله تعالى الّتى اشتملت عليها التّوراة ثمناً قليلاً هو حطام الدّنيا الّذى جمعوه بلىّ أعناق النّصوص وتحريف الكلم عن مواضعه . وها هى ذى الآية الكريمة تنصّ على مسألةٍ واحدة معيّنة ، تنهى بنى إسرائيل بشأنها أن يلبسوا الحقّ بالباطل ويكتموا الحقّ وهم يعلمون . وإنّما كان النّصّ على هذه المسألة الواحدة بسبب خطورتها وأهميّتها لأنّها الفيصل بين الحق والباطل . أمّا هذه المسألة فهى المتعلّقة بنبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين الّتى نصّت عليها التّوراة كتاب بنى إسرائيل المقدّس . إنّ الآية الكريمة تنهى بنى إسرائيل عن تغطية الحقّ الّذى تضمّنته التوراة

---

(١) البحر المحيط ١/١٧٩

(٢) تفسير القرطبى ص ٢٩١ والبحر المتوسط ١/١٧٩ وتفسير ابن كثير ١/٨٤ وانظر الكشّاف ١/٢١٣

(٣) تفسير الطّبرى ١/٢٠١ (٤) البحر المحيط ١/١٧٣

(٥) تفسير الطبرى ١/٢٠٢ وتفسير القرطبىّ ص ٢٩١

(٦) انظر الكشّاف ١/٢١٣ (٧) البحر المحيط ١/١٨٠

(٨) تفسير القرطبى ص ٢٩١ .

بنبوّة المصطفى ﷺ وعن تعميته وخلطه بالباطل الّذى يفترونه حينما يخفون ذلك الحقّ ، أو يزعمون أنّ الصّفات الّتى تضمنّتها التّوراة فى حقّ المصطفى ﷺ لا تتحقّق فى محمّد بن عبد الله ﷺ ، أو أن المصطفى ﷺ مبعوثٌ إلى سواهم إلى غير ذلك من لبسٍ للحقّ بالباطل ومزجٍ للدّرجة الّتى يكاد معها يستحيل تمييز الحقّ من الباطل .

وتتجاوز الآية الكريمة هذه المرحلة من النّهى إلى مرحلة بعيدة تالية ، وذلك بنهى بنى إسرائيل عن كتمان الحقّ ، وهو نبوّة محمّد ﷺ الّتى يعرفونها كما يعرفون أبناءهم . إنّهم فى المرحلة السّابقة خلطوا الباطل بالحقّ بقصد التّعمية والتّضليل ، وإنّهم فى هذه المرحلة التّالية تجاوزوا التّلبيس إلى الكتمان الصّريح للحق وإعلان الكذب . والعجيب فى أمر القوم أنّهم يكتمون نبوّة محمّد ﷺ وهم على علمٍ تامّ بالكتمان الّذى يقدمون عليه ، وطمس الحقّ الّذى يحرصون عليه والكذب الّذى يسعون إليه . وليس ببعيدٍ عن أذهاننا موقف اليهود من عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه ، أحد يهود المدينة الّذين هداهم الله تعالى إلى الإسلام . إنّه فى نظرهم قبل معرفتهم بإسلامه أحد علمائهم الأجلاّء وأحبارهم العظماء ، أمّا بعد معرفتهم بإسلامه فهو أحد السّفهاء والجهلاء[1] .

الآيــة رقــم (٤٣)

قال تعالى : ﴿ وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة واركعوا مع الرّاكعين ﴾ .

الإيتاء : الإعطاء . آتيته : أعطيته . قال الله تعالى : لئن آتانا من فضله لنصّدقنّ . وأتيته بالقصر من غير مدّ : جئته . فإذا كان المجئ بمعنى الاستقبال مدّ . ومنه الحديث : ولآتينّ رسول الله ﷺ فلأخبرنّه[2] .

والرّكوع فى اللّغة : الانحناء فى الشّخص ؟ . وكلُّ منحنٍ راكع[3] .

---

(١) انظر إسلام عبد الله بن سلام فى السّيرة النّبويّة لابن هشام ١٣٨/٢ (عبد الحميد) .

(٢) تفسير القرطبى ص ٢٩٢ (٣) تفسير القرطبى ص ٢٩٣

حينما يؤمن بنو إسرائيل بالقرآن الكريم الّذى أنزله الله تعالى على محمّد ﷺ مصدّقاً للتّوراة الّتى معهم ، وحينما لا يخلط بنو إسرائيل بين الحقّ الّذى تضمنته التّوراة بشأن نبّوة محمّد ﷺ وبين باطلهم ، وحينما لا يكتمون الحقّ الّذى يعرفونه حقّ المعرفة ويعلمونه كلّ العلم من كونه عليه الصلاة والسلام رسول ربّ العالمين ، لا يبقى عليهم إلاّ أن يترجموا الإسلام لله ربّ العالمين إلى عمل ، بأن ينضمّوا إلى فريق المسلمين يشهدون ألاّ إلـه إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ، ويقدّمون الدّليل على الإيمان بعبادة الله تعالى حقّ العبادة . وتختار الآية الكريمة ركنين من أركان الإسلام هما عماد العبادات البدنيّة أعنى الصّلاة وعماد العبادات الماليّة أعنى الزّكاة . وتنبّه الآية الكريمة إلى قيمة صلاة الجماعة فى الإسلام وذلك حينما تأمر بنى إسرائيل بشأن الصّلاة أن يركعوا مع الرّاكعين ، محمّد ابن عبد الله ﷺ وأصحابه . والمعروف أنّ « مع تقتضى المعيّة والجمعيّة »[١] والمعروف كذلك أنّ اليهود لا ركوع فى صلاتهم[٢] .

الآيــة رقــم (٤٤)

قال تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ .

البرّ : سعة المعروف والخير . ومنه البَرّ والبرّيّة للسّعة . ويتناول كلّ خير[٣] والبرّ هنا الطّاعة والعمل الصّالح[٤] .

وتنسون أنفسكم : أى تتركون . والنّسيان بكسر النّون يكون بمعنى التّرك وهو المراد هنا وفى قوله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ . وقوله : ﴿ فلمّا نسوا ما ذُكّروا به ﴾ . وقوله : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ . ويكون خلاف الذّكر والحفظ[٥]

---

(١) تفسير القرطبى ص ٢٩٦

(٢) الكشّاف ١/٢١٣ والبحر المحيط ١/١٨١

(٣) البحر المحيط ١/١٨٢

(٤) تفسير القرطبى ص ٣١٤ وانظر تفسير الطّبرى ١/٢٠٤

(٥) البحر المحيط ص ٣١٤

وهو السّهو الحادث بعد حصول العلم[١] .

والتّلاوة : القراءة . وسمّيت بها لأن الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضاً فى الذِّكر[٢] .

والمراد بالكتاب : التّوراة[٣] ويقول أبو حيّان[٤] : « والكتاب هنا : التّوراة والإنجيل . وفيهما النّهى عن هذا الوصف الذّميم . وهذا قول الجمهور » .

أفلا تعقلون : مذهب سيبويه والنّحويّين أنّ أصل الكلام كان تقديم حرف العطف على الهمزة فى مثل هذا ومثل : أوَ لم يسيروا ، أثمّ إذا ما وقع . لكن لمّا كانت الهمزة لها صدر الكلام قدّمت على حرف العطف وذلك بخلاف هل .... فعلى قول الجماعة يكون التقدير : فألا تعقلون[٥] .

العقل : الإدراك المانع من الخطأ . ومنه عقال البعير يمنعه من التّصرّف . والمعقل مكانٌ يمتنع فيه . والعقل الدّية لأنّ جنسها إبلٌ تُعْقل فى فناء الولىّ . أو لأنّها تمنع من قتل الجانى ... ورملٌ عقنقل : متماسك عن الانهيار[٦] « قال أبو جعفر : يعنى بقوله : أفلا تعقلون . أفلا تفقهون وتفهمون قبح ما تأتون من معصيتكم ربّكم الّتى تأمرون النّاس بخلافها وتنهونهم عن ركوبها وأنتم راكبوها ... »[٧] .

سبب النزول :

قال ابن عبّاس : كان يهود المدينة يقول الرّجل منهم لصهره ولذى قرابته ولمن بينه وبينه رضاعٌ من المسلمين : اثبت على الّذى أنت عليه وما يأمرك به هذا الرّجل — يريدون محمّداً ﷺ — فإنّ أمره حقّ . فكانوا يأمرون النّاس بذلك ولا يفعلونه . وعن ابن عبّاسٍ أيضاً : كان الأحبار يأمرون مقلّديهم وأتباعهم باتّباع التّوراة وكانوا يخالفونها فى

---

(١) البحر المحيط ١/١٨٢

(٢) البحر المحيط ١/١٨٢ وانظر تفسير القرطبىّ ص ٢١٥

(٣) تفسير القرطبى ص ٣١٥ والجلالين والكشّاف ١/٢١٣ وتفسير الطّبرىّ ١/٢٠٤

(٤) البحر المحيط ١/١٨٣

(٥) البحر المحيط ١/١٨٣

(٦) البحر المحيط ١/١٨٢

(٧) تفسير الطّبرىّ ١/٢٠٤

جحدهم صفة محمّد ﷺ . وقال ابن جريج : كان الأحبار يحضّون على طاعة الله وكانوا هم يواقعون المعاصى[١] .

لم يأتمر بنو إسرائيل بما أمرهم الله تعالى به و لم ينتهوا عمّا نهاهم الله تعالى عنه ، و لم يعتنقوا فى مجموعم الدّين الّذى رضيه الله تعالى لعباده . وأعجب ما فى الأمر أنّ القوم يأمرون النّاس بالبرّ وينسون أنفسهم ، وهى أولى وأحرى أن تؤمر به . لقد عرفنا من سبب النّزول أنّ من اليهود من يأمر معارفه من المسلمين أن يثبت على دين الإسلام ويتمسّك بتعاليمه لأنّ محمّداً ﷺ رسولٌ صادق ، وأنّ علماء اليهود وأحبارهم يأمرون أتباعهم بالتّمسك بتعاليم التّوراة بينما هم أنفسهم فى مجموعهم يخالفونها من ناحيتين . الأولى من ناحية عدم التّصديق برسالة محمّدٍ ﷺ بينما التّوراة تأمرهم بذلك . والآخرة من ناحية عدم التّمسّك بتعاليم التّوراة بصفة عامّة ، بينما يطلبون من الأتباع التّمسّك .

وإنّ القرآن الكريم ليسأل بنى إسرائيل فى أسلوب الاستفهام الإنكارى التقريعىّ التبكيتىّ : ﴿ أتأمرون النّاس بالبرّ وتَنْسَوْنَ أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ ؟ أتأمرون يا بنى إسرائيل مقلّديكم وأتباعكم بأن يتمسّكوا بتعاليم التّوراة بينما أنتم تنسَوْن أنفسكم فتفعلون غير ما تقولون وتأمرون به سواكم ، يحدث ذلك منكم وأنتم تتلون التّوراة الّتى تأمركم بألا تنسوْا أنفسكم بل أن تهتمّوا وتُعْنَوا بها أوّلا وبأن يكون فعلكم موافقاً لقولكم . أين غابت عنكم عقولكم الّتى امتنّ الله بها عليكم ؟ لماذا لم تستعملوها استعمالاً صحيحاً وإنّ ذلك فى مقدوركم لولا أنّ الهوى ملأ عليكم جوانحكم ، والبغض للإسلام كان أقوى من أىّ صوتٍ للعقل ووخزٍ للضمير .

والآية الكريمة وراء ذلك يصحّ أن يخاطب بها كلُّ من أمر غيره بالبرّ ونسى نفسه مخالفاً بذلك تعاليم السّماء الموحى بها فى كتاب الله تعالى المنزل . إنّ التّوبيخ فى الآية بسبب ترك فعل البرّ لا بسبب الأمر بالبر[٢] وهذا أمرٌ واضح . وقد قال أبو الأسود الدّؤلىّ :

---

(١) تفسير القرطبىّ ص ٣١١ وانظر تفسير ابن كثير ٨٥/١ والكشّاف ٢١٣/١ وتفسير الطّبرى ٢٠٣/١

(٢) تفسير القرطبى ص ٣١٢

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التّعليم[١]

وقال عليٌّ كرّم الله وجهه : قصم ظهرى رجلان : عالم متهتّك وجاهلٌ متنسك[٢] .

روى مسلم فى صحيحه عن أسامة بن زيد قال . سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالرّجل يوم القيامة فيُلْقى فى النّار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى فيجتمع إليه أهل النّار فيقولون : يا فلان مالَك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى : قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه[٣] « وقال الضّحّاك عن ابن عبّاس إنّه جاءه رجلٌ فقال يا ابن عبّاس إنّى أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر قال : أبلغت ذلك ؟ قال : أرجو . قال : إن لم تخش أن تفتضح بثلاث ايات من كتاب الله فافعل . قال . وما هنّ ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم ﴾ . أحكمت هذه ؟ قال : لا . قال : فالحرف الثّانى . قال : قوله تعالى : ﴿ لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ . أحكمت هذه ؟ قال : لا . قال : فالحرف الثّالث . قال : قول العبد الصّالح شعيب عليه السّلام : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلاّ الإصلاح ﴾ . أحكمت هذه الآية . قال : لا . قال : فابدأ بنفسك »[٤] .

الآيــة رقــم (٤٥)

قال تعالى : ﴿ واستعينوا بالصّبر والصّلاة وإنّها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعين ﴾ .

من العلماء من ذهب إلى كون الآية الكريمة امتداداً لما سبقها من آياتٍ كريمات ونصّ على ذلك ، فهى تخاطب اليهود . ومن هؤلاء الإمام أبو جعفر الطّبرى[٥] الّذى يقول

---

(١) تفسير القرطبى ص ٣١٣ (٢) البحر المحيط ١٨٤/١

(٣) تفسير القرطبى ٣١٢ وانظر تفسير ابن كثير ٨٦/١ فقد بيّن أنّ الحديث رواه البخارى ومسلم وأحمد . (٤) تفسير ابن كثير ٨٦/١

(٥) تفسير الطّبرىّ ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .